علاقة الاستفهام
بالانفعالات النفسية
في رومانسيات إبراهيم ناجي

إعداد:

هاني عمر محمد غانم

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنين بدمياط الجديدة

ملخص البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد،

هذا بحث بلاغي بعنوان(*علاقة الاستفهام بالانفعالات النفسية في رومانسيات إبراهيم ناجي*) يقوم على التحليل الفني لجانب من شعر شاعر من الشعراء البارزين في العصر الحديث، وهو الشاعر إبراهيم ناجي، الذي نبغ في الشعر، ونظمه في أغراض متعددة ، واتجاهات متنوعة، وفي مقدمتها الاتجاه الرومانسي ، الذي يتناسب مع شخصيته الرقيقة ، ونفسيته العاطفية، وانفعالاته القوية بالأحداث والمواقف التي تمر به في حياته، ومشاعره الملتاعة الفياضة، وقد غلب على الاتجاه الرومانسي في شعره ظواهر بلاغية وأسلوبية كثيرة، وفي مقدمتها أسلوب الاستفهام، وما ينطوي عليه من معان كثيرة ومنها:(التعجب، والتحسر، والندم، والإقرار، والتأكيد، والإنكار، وغيرها) ، ونظرًا لذلك كله رأيت أن أتناول هذا الجانب البلاغي الهام في شعر ناجي الرومانسي من خلال الخطة التالية:

المقدمة: تتضمن بيان أهمية الموضوع، ودواعي دراسته، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه ثلاثة عناصر: أولًا: نبذة مختصرة عن حياة إبراهيم ناجي: بينت فيها اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وأعماله، وثقافته ورومانسيته، ومؤلفاته، ووفاته.

ثانيًا: الانفعال:ألقيت الضوء على تعريفه ، وأقسامه، والفرق بينه وبين العاطفة ، وفي سياق ذلك كشفت عن علاقته بموضوع البحث، وأهمية

الحديث عنه هنا.

ثالثًا: الاستفهام: وضحت فيه مفهومه ، وموقعه من باب الإنشاء، وأهميته في الكلام، وأدواته، والغرض الأساسي منه، والمعاني البلاغية التي يخرج إليها، والأسباب التي أدت إلى بروزه في الشعر الرومانسي عند ناجي.

المبحث الأول: الاستفهام بـ(كيف) وعلاقته بالانفعالات النفسية .

المبحث الثاني: الاستفهام بـ(ما) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الثالث: الاستفهام بـ(هل) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الرابع: الاستفهام بـ(أين) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الخامس: الاستفهام بـ(ماذا) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث السادس: الاستفهام بـ(من) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

الخاتمة: وفي ختام البحث خاتمة تتضمن موجزًا له، وأهم نتائجه.

The research brief

Praise be to GOD and blessing and peace be upon His prophet, His kind folk and His companions and then.....

This is a rhetorical research entitled, the relation of the questioning with the psychological impulses in romances of (Ibrahim Naji) that depends on the technical analysis for the poetry of one of the most outstanding poets, in the modern era; he is the poet Ibrahim Naji who was brilliant in poetry. He designed it in many purposes and various directions; the most important one is the romances direction. This direction appropriates to his delicate character, his emotional psychology, his powerful impulses in action and situations that pass in his life, and his heavy feelings. The romances direction in his poetry has overcome with many tropes and styles, one of them, are the questioning method that has many meanings including (wonder, regret, remorse, acknowledge, confirm, denial and other) so I preferred to study this rhetorical side in Naji romances poetry, according to this plane:

The introduction: includes the statement of the importance of topic, the reasons for its studying and research plane.

The initialization: has three elements, first short notice about Ibrahim Naij life: showed his name, relatively, birth, growing up, works, culture, romances, writings and death.

Second: the excitement, I shed light on its definition, parts and the difference between it and the emotion, and the context of that, discovered about its relation with the research topic and the importance of speaking about it.

Third: the interrogation, clarified its concept, position of the art of writing chapter, its importance in the statement, its tools, the main purpose of it, its rhetorical meanings which comes out to it and the reasons that led to be outstanding in Naji romances poetry.

The first study: is the question with (How) and its relation with psychological impulses.

The second study: is the question with (what) and its relation with psychological impulses.

The third study: is the question with (Do) and its relation with psychological impulses.

The fourth study: is the question with (where) and its relation with psychological impulses.

The fifth study: is the question with (what)) and its relation with psychological impulses.

The sixth principle: is the question with (Who) and its relation with psychological impulses.

Conclusion: At the end of the conclusion containing a summary of the research and the most important of its results.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

هذا بحث بلاغي يقوم على التحليل الفني لجانب من شعر شاعر من الشعراء البارزين في العصر الحديث، وهو الشاعر إبراهيم ناجي ، الذي نبغ في الشعر، ونظمه في أغراض متعددة ، واتجاهات متنوعة، وفي مقدمتها الاتجاه الرومانسي ، الذي يتناسب مع شخصيته الرقيقة ، ونفسيته العاطفية، وانفعالاته القوية بالأحداث والمواقف التي تمر به في حياته، ومشاعره الملتاعة الفياضة، وقد غلب على الاتجاه الرومانسي في شعره ظواهر بلاغية وأسلوبية كثيرة، وفي مقدمتها أسلوب الاستفهام، وما ينطوي عليه من معان كثيرة، وما يخرج إليه- في استعمالاته الكثيرة ، ومن خلال أدواته المتعددة- من معان أخرى كثيرة بعيدة عن معناه الحقيقي، ومنها:(التعجب، والتحسر، والندم، والإقرار، والتأكيد، والإنكار، وغيرها) حيث وردت تلك المعاني في كثير من أبياته الشعرية في إطار الاتجاه الرومانسي ، حيث تساعده في التعبير عما تنطوي عليه نفسه، وما تخفيه مشاعره، وما يكتنف أحاسيسه في براعة واقتدار ، فهو شاعر كبير رقيق، إضافة إلى غلبة نزعة الخوف ، وقلة الرجاء في المستقبل، وسيطرة التشاؤم عليه أحيانًا، فأحسن استخدام أسلوب الاستفهام في معان متعددة؛ للتعبير عن مكنونات نفسه، وتصوير وطأة الحزن وعدم الرجاء على نفسه ، من خلال استفهامات كثيرة، بأدوات متعددة، يخفف بها معاناته والآمه النفسية، ويهدف إلى التنفيس والتخفيف من وطأة الحزن

والتشاؤم على نفسه، والتعالي على ما يعانيه من آلام ، وما يواجهه من هموم في حياته، في أساليب استفهامية بديعة ورائعة تحمل تصويرًا دقيقًا لانفعالاته النفسية.

وبعد قراءة شعر ناجي في الاتجاه الرومانسي تبين أن الاستفهام فيه كثير ، وخرج إلى معان عديدة، وأن الأساليب الاستفهامية فيه معاني نفسية تتواءم مع الجو العام للأبيات ، وهو ما يعنينا في المقام الأول في هذا البحث، حيث يهدف إلى الوقوف على الجوانب النفسية والشعورية التي تكمن وراء المعاني البلاغية للأساليب الاستفهامية المختلفة، وعلاقة تلك المعاني بانفعالاته النفسية.

ولهذا كله تم الإكثار من الشواهد للتأكيد على الغرض الذي خرج إليه الاستفهام، وبيان علاقته القوية بانفعالات الشاعر ومشاعره، ولإيضاح أثر الاستفهام في التخفيف عن الشاعر والتسرية عن انفعالاته.

ومن خلال قراءة شعر الاتجاه الرومانسي عند ناجي تبين –أيضًا– أنه غالبًا ما يجمع بين أسلوبين مختلفين من أساليب الاستفهام ، أو بين أداتين من أدوات الاستفهام في أسلوب واحد ، أو في عبارة أو جملة واحدة ، إحداهما ظاهرة جلية لها أثر واضح وقوي في المعنى، والأخرى تساعد في إتمام المعنى، وهي براعة فائقة من الشاعر، ودقة متناهية منه في استخدام أساليب الاستفهام وأدواته في شعره الرومانسي، أكسبته حيوية وقوة تأثير في نفوس المتلقين.

ونظرًا لذلك كله رأيت أن أتناول هذا الجانب البلاغي الهام في شعر ناجي الرومانسي من خلال الخطة الآتية:

المقدمة: تتضمن بيان أهمية الموضوع، ودواعي دراسته، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه ثلاثة عناصر: أولًا: نبذة مختصرة عن حياة إبراهيم ناجي:

بينت فيها اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وأعماله، وثقافته ورومانسيته، ومؤلفاته، ووفاته.

ثانيًا: الانفعال:

ألقيت الضوء على تعريفه ، وأقسامه، والفرق بينه وبين العاطفة ، وفي سياق ذلك كشفت عن علاقته

بموضوع البحث، وأهمية الحديث عنه هنا.

ثالثًا: الاستفهام:

وضحت فيه مفهومه ، وموقعه من باب الإنشاء، وأهميته في الكلام، وأدواته، والغرض الأساسي منه، والمعاني البلاغية التي يخرج إليها، والأسباب التي أدت إلى بروزه في الشعر الرومانسي عند ناجي.

المبحث الأول: الاستفهام بـ(كيف) وعلاقته بالانفعالات النفسية .

المبحث الثاني: الاستفهام بـ(ما) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الثالث: الاستفهام بـ(هل) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الرابع: الاستفهام بـ(أين) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث الخامس: الاستفهام بـ(ماذا) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

المبحث السادس: الاستفهام بـ(من) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

وفي تلك المباحث بينت أهمية كل أداة في مجال الاستفهام، وعلاقة الاستفهام بكل أداة بانفعالات الشاعر النفسية، والمعاني التي خرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي في كل أداة، من خلال تحليل النماذج المختارة لكل أداة في كل مبحث.

هذا، وفي ثنايا تحليل النماذج الشعرية ، وما تضمنته من أساليب الاستفهام، والمعاني التي خرجت إليها، كنت حريصًا على الإشارة إلى قيم بلاغية أخرى ، وتحليلها في سياق النماذج لأهميتها في إيضاح أسلوب الاستفهام، والتأكيد على المعاني التي خرج إليها ، وإيضاح ما تنطوي عليه من النماذج من معان وأفكار وانفعالات؛ إذ تنعكس على الشاعر وأسلوب الاستفهام الذي استخدمه في النماذج المختارة.

مع الإشارة في بعض المواضع إلى نماذج شعرية لشعراء آخرين، تهدف إلى بيان ما انتهى إليه التحليل للنموذج الخاص من شعر ناجي من أجل إيضاح المراد، حيث اقتضى الموضع الإشارة إلى هؤلاء الشعراء، ونماذج من أشعارهم في المواضع التي ذكروا فيها، وقد تم الاستشهاد بتلك النماذج كلما دعت الضرورة ، لبيان إبداع ناجي وإجادته في النماذج المختارة من شعره الرومانسي ، وسبب ذلك، أو بيان إخفاقه فيها، وسبب ذلك، والنماذج المختارة لهؤلاء الشعراء تؤكد ذلك وتدعمه.

هذا وقد تم الاكتفاء ببعض نماذج من شعر ناجي الرومانسي في كل أداة من أدوات الاستفهام ، تحقق الغرض المراد من أداة الاستفهام ، والمعاني التي خرجت إليها ، ويؤكد على أن الجزء هنا يغني عن الكل، فهي نماذج للتمثيل، ولكنها تكشف عن المعاني المرادة من خروج كل أداة عن معناها الأصلي، وتعبر عنها بوضوح؛ ولذلك لا حاجة إلى الإكثار من

النماذج؛ حتى لا يتسم البحث بالتكرار غير المفيد.

الخاتمة: وفي ختام البحث خاتمة تتضمن موجزًا له، وأهم نتائجه.

ونأمل – بعد ذلك– أن يكون البحث قد حقق الهدف المنشود، وكشف عن أساليب الاستفهام، وأدواته، ومعانيه، وأغراضه، ودوافع استخدامه بكثرة في شعر إبراهيم ناجي الرومانسي، ومهامه معنويًا وأسلوبيًا في ذلك الاتجاه الشعوري عنده، وعلاقته بحالته النفسية، وانفعالاته ، ومشاعره.

تمهيد البحث

أولًا: (ناجي الحياة والسيرة)

نبذة مختصرة عن إبراهيم ناجي(١٣١٦-١٣٧٢هـ= ١٨٩٨-١٩٥٣م).

اسمه ونسبه:

إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي بن إبراهيم القصبجي، طبيب مصري ، أديب شاعر، من أهل القاهرة، تخرج بمدرسة الطب (١٩٢٣م) واشتغل بالطبّ والأدب ، وكانت فيه نزعة روحية (صوفية)[١].

مولده ونشأته:

ولد الشاعر إبراهيم ناجي في حي شبرا بالقاهرة في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر في عام ١٨٩٨م، ١٣١٦هـ، وقد شب في منزل يشجع على القراءة؛ لثقافة والده مما أثر في تنمية موهبته وصقل ثقافته، وهذا المنزل- شأن منازل مثقفي ذلك الزمان- كان يجمع بين كتب التراث العربي والأدب الإنجليزي(والفرنسي إلى حد ما) ومن ثم فكان من المتوقع أن يتجه بعد الابتدائية(١٩١١م) إلى الدراسة الأدبية ، وهذا ما حدث وهو في المدرسة التوفيقية(الثانوية) غير أنه اتجه في آخر لحظة

(١) ينظر: الأعلام- للزركلي(٧٦/١) دار العلم للملايين -ط١٥-٢٠٠٢م، ومعجم المؤلفين-لعمر رضا كحالة(١٢٠/١) مكتبة المثنى- بيروت- دار إحياء التراث العربي.

إلى دراسة الطب... وتمكن من الجمع بين ممارسة الطب وكتابة الشعر، وكان مثله الأعلى هو أحمد شوقي(١).

أعماله:

تخرج في مدرسة الطب في عام ١٩٢٣م، وعين حين تخرجه طبيبًا في وزارة المواصلات مصلحة السكة الحديدية ، ثم في وزارة الصحة ، ثم مراقبًا عامًا للقسم الطبي في وزارة الأوقاف.

- عمل طبيبًا في المنصورة عام ١٩٢٧م.

- كان ناجي من الأعضاء المؤسسين لجماعة أبولو عام ١٩٣٢م برئاسة شوقي ، والتي أفرزت نخبة من الشعراء المصريين والعرب ، استطاعوا تحرير القصيدة العربية الحديثة من الأغلال ، ثم أصبح وكيلاً لمدرسة أبوللو الشعرية ، ورئيسًا لرابطة الأدباء في مصر في الأربعينيات من القرن العشرين (الكلاسيكية، والخيالات ، والإيقاعات المتوارثة)(٢).

ثقافته:

نهل من الثقافة العربية القديمة ، فدرس العروض والقوافي ، وقرأ دواوين المتنبي وابن الرومي وأبي نواس وغيرهم من فحول الشعراء العرب،

---

(١) ينظر: أجمل ما كتب شاعر الأطلال-إبراهيم ناجي(٧، وما بعدها) اختيار وتقديم: د/سمير سرحان، ود/ محمد عناني- مهرجان القراءة للجميع-الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) ينظر: أجمل ما كتب شاعر الأطلال-إبراهيم ناجي(٨) ، والأعمال الشعرية الكاملة-لإبراهيم ناجي(١٠-١٢) تحقيق ودراسة: حسن توفيق -المجلس الأعلى للثقافة-المكتبة العربية-١٩٩٦م.

كما نهل من الثقافة الغربية، فقرأ قصائد (شيلي وبيرون) وآخرين من رومانسيي الغرب.

– بدأ حياته الشعرية حوالي عام ١٩٢٦م عندما بدأ يترجم بعض أشعار(الفريد دي موسييه ، وتوماس مور) شعرًا ، وينشرها في السياسة الأسبوعية ، وقد قام ناجي بترجمة بعض الأشعار عن الفرنسية (لبودلير) تحت عنوان (أزهار الشر)، وترجم عن الإنكليزية رواية (الجريمة والعقاب)(لديستوفسكي)، وعن الإيطالية رواية (الموت في إجازة)[١].

رومانسيته:

تأثر ناجي في شعره بالاتجاه الرومانسي ، وهذا ما أشار إليه د/ سمير سرحان ، حين قال:" وأما رومانسيته ، فتتجلى بأبدع صورها في إيمانه بالإحساس ، وهو المثل الأعلى للرومانسية، وشغفه بالطبيعة، وخصوصًا فكرة الرحلة، وصور البحر ومعاني الزمن، وقبل هذا وبعده إصراره على التجربة الشخصية الفردية التي تعينه على تحقيق مثل رومانسي أعلى آخر وهو الصدق"[٢].

وكان ناجي وصديقاه(محمد عبدالمعطي الهمشري، وصالح جودت) ينهلون من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الإنجليزي:(شللي وكيتس، وبيرون، ووردزورث)[٣].

---

(١) ينظر: https://www.hindawi.org/books/60469752/ مؤسسة هنداوي – شعر إبراهيم ناجي.

(٢) أجمل ما كتب شاعر الأطلال–إبراهيم ناجي(٨) .

(٣) ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة–لإبراهيم ناجي(١٠–١٢)

مؤلفاته:

– ديوان (وراء الغمام – ط) صدر هذا الديوان عام ١٩٣٤م، وهو أول دواوين ناجي، وقد اشتعلت في أعقاب صدوره معركة نقدية بين شعراء مدرسة أبولو ، وعباس العقاد وتلاميذه من جهة ، وطه حسين من جهة أخرى.

– ديوان(ليالي القاهرة – ط) وقد اختلف في صدور هذا الديوان بين عام ١٩٤٣، ١٩٤٤م، وأوضح هذا الاختلاف د/ حسن توفيق(١).

– ديوان (الطائر الجريح) صدر هذا الديوان عام ١٩٥٧م ، وهو عبارة عن عدد من القصائد التي لم ينشرها ناجي في حياته.

– (ديوان ناجي) الديوان الرابع الشامل عام ١٩٦١م ، حيث كانت وزارة الثقافة والإرشاد القومي قد شكلت لجنة لجمع تراث ناجي الشعري المطبوع والمخطوط ، وشرحه وتنسيقه بغية نشره في ديوان واحد.

– مختارات من قصائد ناجي ، صدرت عام ١٩٧١م عن دار الآداب البيروتية ، اختارها وقدم لها /أحمد عبدالمعطي حجازي.

---

(١) حيث قال في ترجيحه: وقد وجدت –من خلال المراجعة–أن عباس خضر يعاتب ناجي في عددين متواليين من أعداد= = مجلة الرسالة عام ١٩٥٠م؛ لأنه أهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده هو نسخة منه، وقد ثبت لي باليقين أن ديوان (ليالي القاهرة) قد صدر عام ١٩٥٠م من خلال مراجعتي المتأنية للجزء التاسع من(فهرس الكتب التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٥م إلى سنة ١٩٥٥م...إلخ.

ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة–لإبراهيم ناجي(٧٨).

– ومجموعة من القصص والمحاضرات الأدبية وهي:(رسالة الحياة، وعالم الأسرة، ومدينة الأحلام).

– وكتاب (كيف تفهم الناس) يحوم حول الدراسات النفسية.

– ونشر دراسة عن (شكسبير)، وقام بإصدار مجلة حكيم البيت[1] .

– وكتاب(أدركني يا دكتور) لإبراهيم ناجي، دار العودة–بيروت– ١٩٧٧م، أهداه لزملائه.

وفاته:

كان شاعرنا يعانى من مرض ذات الرئة؛ ولذا قال صالح جودت: وبينما هو يدني أذنه من قلب مريض في عيادته يتسمع دقاته، إذا به يهوي، وبهذا انتهت حياته في الرابع والعشرين من مارس عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م[2].

(١) ينظر: الأعلام – للزركلي (٧٦/١) ، ومعجم المؤلفين–لعمر رضا كحالة(١٢٠/١)، والأعمال الشعرية (٦٦–٩٢)

(٢) ينظر: الأعلام– للزركلي (٧٦/١) ، ومعجم المؤلفين–لعمر رضا كحالة(١٢٠/١).

ثانياً: الانفعال(المفهوم- الأقسام):

وحيث إن من أهداف البحث بيان علاقة انفعالات ناجي بالاستفهام وأدواته، وأثرها القوي في خروج الاستفهام إلى معان أخرى ترتبط بانفعالات الشاعر، ويسعى بها إلى التخفيف من حدة تلك الانفعالات المسيطرة عليه، والمؤثرة فيه، فقد رأيت أن أعرض هنا للانفعال من حيث (تعريفه، أقسامه، الفرق بينه وبين العاطفة)، وسيتضح ذلك جليًا في سياق البحث، من خلال عرض النماذج المختارة فيه، وما نتج عن انفعالات الشاعر فيها من معان خرج إليها الاستفهام بأدواته المختلفة.

أولًا: (تعريفه، أقسامه، الفرق بينه وبين العاطفة).

الانفعال لغة: الفعل من فَعَل مصدره الْفَعْلُ –بِالْفَتْحِ– ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [1]، وَالْفِعْلُ– بِالْكَسْرِ– الِاسْمُ وَالْجَمْعُ :الْفِعَالُ مِثْلُ: قِدْحٍ وَقِدَاحٍ، وَالْفَعَالُ– بِالْفَتْحِ– الْكَرَمُ، وَالْفَعَالُ –أَيْضًا– مَصْدَرُ فَعَلَ كَالذَّهَابِ، وَكَانَتْ مِنْهُ فَعْلَةٌ حَسَنَةٌ أَوْ قَبِيحَةٌ [2]، وانفعل بكذا ، أي: تأثر بِهِ انبساطًا وانقباضًا[3].

اصطلاحًا: اختلف في تعريفه علماء علم النفس ، فقيل هو:

– هو حالة توتر الكائن الحي يصحبها تغييرات فسيولوجية داخلية ،

---

(1) بعض آية من سورة الأنبياء (رقم :٧٧).

(2) ينظر: مختار الصحاح –لزين الدين الرازي تـ٦٦٦هـ(٢٤١) تحقيق: يوسف الشيخ– المكتبة العصرية–بيروت–ط٥–١٤٢٠هـ.

(3) ينظر: المعجم الوسيط – إبراهيم الزيات وآخرون(٦٩٥/٢) مجمع اللغة العربية– دار الدعوة.

ومظاهر جسمانية غالبًا ما تعبر عن هذه الانفعالات.

- أو هو خبرة ذات شعور قوي ، أو وجدان يصاحبها تغيرات جسيمة في الدورة الدموية والتنفس ، كما يصاحبها عادة أفعال قهرية حادة.

- أو اضطراب حاد يشمل الفرد كله، ويؤثر في سلوكه وخبرته الشعورية ووظيفته الحيوية، وهو ينشأ في الأصل عن مصدر نفسي[١].

- وقيل: إنه تغيير مفاجئ يشمل الفرد كله نفسًا وجسمًا[٢].

- وأشار د/ محمد القريناوي إلى أن هناك تعريفًا فقهيًا جامعًا للانفعال ، وهو: عبارة عن تغيير طارئ يحدث للفرد ؛ نتيجة تعرضه لموقف حسن أو سيئ ينعكس على سلوكه وتصرفاته مع نفسه أو الآخرين[٣].

وعلى هذا يكون الانفعال ناتجًا عن مواقف واقعية، أو أحداث وجدانية ترتسم بهما عاطفة الإنسان، ومن ثم تشكل رؤيته الشعرية، وطريقة معالجته الأسلوبية والبلاغية.

---

(١) ينظر: تربية المراهق في الإسلام وعلم النفس-لدكتور: محمد السيد الزعبلاوي(٢٧٥)كلية المعلمين بالرياض-رسالة دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ، وأثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها-إعداد: محمد أحمد القريناوي(٢٣) إشراف: شحادة السويركي-رسالة ماجستير-١٤٣٣هـ.

(٢) ينظر: علم النفس العام-د/صالح الداهري، ود/ وهيب الكبيسي(١٠٤)ط١-دار الكنيدي-١٩٩٩م، وأثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها (٢٣) .

(٣) ينظر: أثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها (٣٥).

ثانياً: أقسام الانفعال:

ينقسم الانفعال إلى قسمين:

قسم يعتمد على تكوينه ونشأته، وقسم يعتمد على أثره على الإنسان.

- **القسم الأول ينقسم قسمين:**

أ- انفعالات أولية بسيطة غير معقدة في تكوينها، مثل: (الخوف)، فالخوف انفعال أولي، يعد هذا الانفعال فطريًا؛ لأن الإنسان يزود به عند الولادة ، ويرتبط بعدد من المتغيرات، كالعمر، والجنس، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي.

ب-انفعالات مركبة في تكوينها تقوم على امتزاج انفعالين أو أكثر في مركب واحد، مثل : الغيرة والدهشة... ولقد صور القرآن الكريم انفعال الغيرة تصويرًا رائعًا في قصة سيدنا يوسف قائلا[1]:﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾[2]، حيث اجتمع في هذه الآية تصوير حالة الغيرة والحقد والخوف معًا تجلى الحقد في قوله(ٱقْتُلُواْ) ولكنه حقد يمتزج بالخوف من تبعات القتل ، فجاء قوله: (أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا).

القسم الثاني يدور حول قسمين:

١- انفعالات سارة ، وهو عبارة عن انفعال فطري يدل على الشعور بالراحة والسرور، وأسبابه:حصول أمر محبوب للإنسان أو سماع ما

---

(١) بعض آية من سورة يوسف(رقم:٩).

(٢) ينظر: علم النفس العام-د/صالح الداهري، ود/ وهيب الكبيسي(١٠٧، وما بعدها) ، وأثر الانفعالات النفسية(٢٣،٢٥).

يتمناه، مثل: الضحك والابتسامة والفرح.

٢- انفعالات غير سارة وهو عبارة عن انفعال فطري يحدث بسبب شعور النفس بعكس ما تحبه أو ترتاح له، مما يجلب لها الهم والكدر...أو يحدث بسبب تعرض النفس للخطر، وعبر عنها بأشكال مختلفة، كالبكاء والكره والخوف والغضب[١].

الفرق بين العاطفة[٢] والانفعال:

أ- العواطف مستقرة نسبيًا ، أما الانفعالات ، فمتغيرة ومتقلبة وغير مستقرة حسب الحالة المزاجية للفرد.

ب-العواطف تساعد الإنسان على تنظيم انفعالاته المختلفة حول موضوع ما، فلا تنطلق انفعالاته بأشكال هوجاء ، فهي تنظيم نفسي له صفة الدوام والثبات، أما الانفعال ، فما هو إلا خبرة نفسية طارئة ، كانفعال الغضب والخوف[٣].

---

(١) ينظر: المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي- د/ أسماء عبدالعزيز الحسين(١١٧) عالم الكتب السعودية-ط١-٢٠٠٢م ، وأثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها (٢٩).

(٢) العاطفة : هي استعداد وجداني مركب ، وتنظيم مكتسب لبعض الانفعالات نحو موقف معين تدفع صاحبها للقيام بسلوك خاص ، كعاطفة الحب والانتماء للوطن تدفع إلى التضحية والفداء.

ينظر: أسس علم النفس العام-د/ أنور الشرقاوي، ود/ طلعت منصور(١٥٥) مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة-١٩٨١م، وأثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها (٢٩).

(٣) ينظر: دراسات سيكولوجية -د/ عبدالرحمن عيسوي(١٢) دار المعارف- القاهرة-١٩٨١م،وأثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها (٢٤).

ثالثاً: (الاستفهام)

هو فن عظيم من فنون القول، يسري في أنماط الكلام سريان النسيم في الرياض العطرة، ويزداد تألقا وبهاء في الأساليب الأدبية الرفيعة...إلخ.

وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أولا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور[1].

وقد بيَّن د/ أبو موسى المعنى المراد من الاستفهام بقوله: الهمزة ، والسين، والتاء، تفيد معنى الطلب في هذه الكلمة ، والمطلوب هو الفهم، والفهم يعني: حصول صورة المراد فهمه في النفس، وإقامة هيأته في العقل...إلخ[2].

وهذه هي دلالته الوضعية، أما دلالته المجازية ، فهي أن يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام، بل هو ينشئ معاني يقتضيها المقام قاصدًا إعلام المخاطب بها، لا أن يستعلم هو من المخاطب عن شيء[3].

موقعه من باب الإنشاء:

الاستفهام أسلوب من الأساليب الإنشائية التي تقع على فعل المتكلم،

---

(1) ينظر: المطول(٤٠٩).

(2) ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية (٢٠٧) مكتبة وهبه- ط٤-٢٠٠٨م

(3) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم- د/ عبدالعظيم المطعني(٤)مكتبة وهبة- ط٢-١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

وهذا ما وضحه السعد بقوله: وقد يقال : على فعل المتكلم أعني: إلقاء الكلام الإنشائي كالإخبار، وهو المراد؛ لأنه قسمه إلى الطلب وغيره، وقسم الطلب إلى التمني والاستفهام وغيرهما، وأراد بها معانيها المصدرية لا الكلام المشتمل عليها بقرينة قوله: واللفظ الموضوع له كذا وكذا...إلخ[1]، وإذا كانت هذه الأقسام للإنشاء الطلبي المراد منها معانيها المصدرية ، كان المقسم- وهو الإنشاء مطلقا- كذلك[2].

والمقصود بالنظر هاهنا: هو الطلب لاختصاصه بمزيد أبحاث لم تذكر في بحث الخبر ؛ ولأن كثيرا من الإنشاءات غير الطلبية في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء[3].

أهميته في الكلام:

أشار د/ المطعني إلى هذه الأهمية في أثناء حديثه بقوله: الاستفهام فن عظيم من فنون القول...يكشف عن خبيئات المعاني، ودقائق الأسرار، ويعرضها عرضًا رائعًا يحمل النفس على الإنتشاء، والمشاعر على التوقد، والقلوب على اليقظة، والعواطف على الاستمتاع، والعقول على الإقناع، ويريك المعاني في معارض مجلوة ، وألوان زاهية، ومذاقات متفاوته، فتصبح النفوس-بما فيها من ملكات الإدراك-لوحة شديدة الإحساس تنعكس عليها تلك المعاني، فتقرأها الأسماع والقلوب قبل أن تقرأها

---

(1) ينظر: (المطول ٤٠٦).

(2) ينظر: الإيضاح – للخطيب القزويني (٥١/٣) تحقيق: د/ عبدالمنعم خفاجة –دار الجيل –بيروت– ط٣.

(3) ينظر: (المطول ٤٠٦).

الأبصار.

كما تتضح أهميته في خروجه من معانيه الوضعية إلى معان بلاغية تفهم من السياق، وقرائن الأحوال[١].

أدوات الاستفهام هي:(الهمزة- هل- ما- من- أي- كم- كيف- أين- أنى-متى- أيان-وغيرها) [٢].

الغرض الأساسي من الاستفهام: السؤال عن الشيء ، أو الاستخبار عنه.

المعاني البلاغية التي يخرج إليها:

"والمعاني التي تفيدها هذه الأدوات كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، وإنما يذكر العلماء منها ما يرشد إلى طريقة تفهمها، والوعي بها"[٣] ؛ لأنها تستنبط من سياق الكلام ، والوقوف على قرائن أحواله[٤].

منها:(الإنكار- التعجب- التقرير- التفخيم والتعظيم- والتهكم والاستهزاء- والنفي- وغيرها)

وقد برز الاستفهام في الشعر الرومانسي عند ناجي ، وخرج عن معناه الأصلي إلى معان بلاغية يتطلبها المقام، والأسباب التي أدت إلى ذلك

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم- د/ عبدالعظيم المطعني(٣،٥).

(٢) ينظر: الإيضاح (٣/٥٥)، والمطول(٤٠٩).

(٣) ينظر: دلالات التراكيب (٢١٦).

(٤) ينظر: الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة مواقعها ودلالاتها-إعداد : بدرية العتيبي(٣٢)إشراف:أ.د/ محمد إبراهيم شادي - رسالة ماجستير- السعودية-١٤٣٠هـ.

كثيرة منها:

-الحالة النفسية المسيطرة عليه، وما فيها من قلق واضطراب وحيرة- أحيانا- ومحاولة تبديلها بالتفاؤل والبشر والسعادة عن طريق الاستفهام ومعانيه.

- مشاعره وانفعالاته الذاتية تجاه الأحداث والمواقف، وإثارة المتلقي وجذب انتباهه، والتأثير فيه.

- التعبير عن معنى معين وإيضاحه وتأكيده.

- التخفيف من معاناته والتسرية عن نفسه.

- الكشف عن موقفه الحقيقي من التجارب والمواقف التي تمر به وتؤثر فيه.

- إدراكه لأهمية الاستفهام في إيصال ما يريده إلى المتلقي.

- بعث الماضي وتصوير آثاره وذكرياته، وربطه بالحاضر أو المستقبل، وتمنيه عودته وازدهاره.

- التعبير عن تحسره وندمه في بعض المواقف، وتصوير تألمه من بعض سلوكيات المحبوبة

بالاستفهام ومعانيه.

المبحث الأول: الاستفهام بـ (كيف) وعلاقته بالانفعالات النفسية.

(كيف) من أسماء الاستفهام التي يستفهم بها عن الحال ، وهي اسم مبهم يتضمن جميع الأحوال ، وهي مبنية لشبهها بالحرف في المعنى[1] قال ابن خالويه:"وهي اسم زال الإعراب عنه لما استفهم به ، وضارع الحروف، فوجب أن يسكن آخره ، فلما التقى في آخره ساكنان فتحوا الفاء، فإن قيل: فهلا حركوه بالكسر لالتقاء الساكنين؛ إذ هو أكثر في كلام العرب، فقل: كرهوا الكسر مع الياء، والفتح أكثر في مثل ذلك، نحو: أين ، وحيث، حكاه الخليل وسيبويه"[2].

وقد ورد في القرآن الكريم والشعر العربي أمثلة للاستفهام بـ(كيف)، كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[3] ، وقول جميل بثينة: [الطويل]

وَكَيفَ تُرجِي وَصلَهَا ، بَعدَ بُعدِهَا وَقَد جُذَّ حَبلُ الوَصلِ مِمّن تُؤَمِّلُ؟[4]

ويخرج الاستفهام بها عن الحال إلى معان بلاغية متعددة كـ(التعجب، والإنكار، والتحسر، والندم...إلخ) وتبين الشواهد المختارة هنا من الشعر

---

(1) ينظر: شرح المفصل – لابن يعيش تـ٦٤٣هـ(٣/١٤٠)قدم لـه:د/ إميل بديع يعقوب– دار الكتب العلمية– بيروت–ط١–١٤٢٢هـ، وخزانة الأدب–لابن البغدادي تـ١٠٩٣هـ(٧/١٠٤) تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون– مكتبة الخانجي–ط٤–١٤١٨هـ.

(2) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم –لابن خالويه تـ ٣٧٠هـ(١٨٩) دار الكتب المصرية –١٣٦٠هـ.

(3) بعض آية من سورة البقرة(رقم : ٢٨).

(4) ديوان جميل بثينة(٤١) دار بيروت للطباعة والنشر –١٤٠٢هـ.

الرومانسي عند ناجي ، والتراكيب التي بنيت عليها تلك المعاني.

النموذج الأول:

في هذا النموذج تفوق ناجي في استخدامه للصور البلاغية التي تؤازر الاستفهام في تحقق الهدف الرئيس منه ، وقد خرج من معناه الأصلي إلى معنى بلاغي آخر هو التعجب والإنكار، وسيأتي توضيح ذلك في ثنايا العرض والتحليل، وفي الأبيات نلحظ استحضار الماضي ، وآثاره عن طريق الاستفهام، في محاولة لاستعادة ذكرياته الجميلة المثيرة والمؤثرة فيه، التي ربما تكون محبوبته قد نسيتها، وكأن الشاعر عن طريق هذا الأسلوب وعلاقته بالانفعالات النفسية يثير المحبوبة ، لتستعيد ذاكرتها ذكريات الماضي السعيد. في ذلك كله يقول: [الرمل]

رَاجَعَتْنَا فِي جَلالٍ وَسُكُـــوتْ وَتَوَالَت صُوَر المَاضِي الحَزِينْ

كَيفَ يَبلَى يَا حَبِيبِي أو يَمُوتْ مَا طَبَعنَاهُ عَلَى قَلبِ السِّنِيـنْ؟

كَيفَ يَفنَى مَا كَتَبنَاهُ بِنَـــارْ وَخَطَطنَاهُ بِسُهدٍ وَدُمُـــوعْ؟

يَشهَدُ اللّيلُ عَلَيهِ وَالنَّهَـــارْ وَالشَّهِيدُ المُتَوارِي فِي الضُّلُـوعْ[1]

يقول الشاعر بعد هجر محبوبته: إنها قد عادت إليه مكللة بالهيبة والجلال يكسوها صمت مهيب، وقد تذكّر ما كان بينه وبينها من ماض ، وصفه الشاعر بالحزين، ثم يتساءل متعجبًا كيف يمكن لمحبوبته أن تنسى هذه الذكرى التي حفرت في قلبيهما ؟! وقد وصف الشاعر ذلك بقوله:(طبعناه) دليلًا على أن هذه الذكرى ملازمة لهما لا تفارقهما ، وفيه

(1) ديوان إبراهيم ناجي (١١) دار العودة–بيروت– ١٩٨٠م.

تصوير استعاري جعل الشاعر فيه الذكرى بينهما شبيهة بأوراق مطبوعة أو تصلح للطباعة على سبيل الاستعارة المكنية ، ونلحظ إبداع ناجي هنا في تصوير السنين بإنسان له قلب ، هذا القلب هو الذي يطبع عليه ، وينسخ فيه، ، وقد كرر الشاعر التعجب باستفهام آخر بقوله:(كيف يفنى) ، ويختم الأبيات بصورة استعارية رائعة ، يجعل فيها كلا من الليل والنهار بطلين يشهدان على هذا الحب.

وقوله:(راجعتنا) يدلل على كثرة تكرار الأخذ والعطاء، والرد والجواب بينه وبين محبوبته، وقد استخدم الفعل بهذه الصيغة، حتى يوحي بطول الترقب والانتظار مستحضرا صورة العودة واللقاء ، وقوله:(جلال وسكوت) تنكيرهما للتعظيم يفيد عفة الحب الذي بين الشاعر وامرأته، وعطف السكوت على الجلال من باب عطف مظهر الشيء على أصله، حيث يعد السكوت مظهرًا من مظاهر الجلال، ولعل الشاعر يقصد بقوله:(وتوالت صور الماضي الحزين) المعاناة التي وجدها في بداية علاقته ، فلم يكن من السهل الوصول إلى قلب امرأته، ووصف الماضي بالحزين أبلغ إشارة على تلك المعاناة، كما أن العبارة توحي بالعتاب الصامت، والاعتذار غير الناطق من ناجي لمحبوبته بعد طول البعد، وما يدل عليه قوله قبل هذه الأبيات:

حَلّ يَا سَاحِرُ صَفوُ السَّلام بَعدَ فَتكِ البَينِ بِالقَلبِ الغَرِيب[1]

فقد حل القرب مكان البعد والجفاء، ويؤكد هذا العتاب الذي يعبر عن الحالة النفسية التي يمر بها ناجي قوله:(كيف يبلى يا حبيبي أو يموت) حيث يتعجب الشاعر من تساؤلها أما زال الحب قائما؟ فيكون الجواب

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (١٠).

بالاستفهام التعجبي بأداته(كيف) ليدلل فيه الشاعر عبر تصويره عن قناعته باستحالة فناء هذا الحب الذي لم يبل وإن طال الزمان، وكل كلام به استفهام هو صورة في حد ذاتها، وكأننا نتخيل ناجي يشير بيده غاضبًا مستفهمًا متعجبًا ، فالبلاء والفناء لا يكون إلا لمحسوس مادي به روح أو لا ، وأما الحب ، فهو شعور معنوي يستحيل معه الفناء، لكن التصوير أبلغ في أداء المعنى، وتتلاحم تلك الصورة مع سابقتها في قول الشاعر(وتوالت صور الماضي الحزين) حيث يشبه الشاعر ذكرياته بصور مطبوعة ومحفورة في الذاكرة مع حذف المشبه، والتصريح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، ولفظة (الحزين) بها تصوير آخر للماضي في صورة إنسان يحزن ويفرح على سبيل الاستعارة المكنية، وجمع لفظة (صور) يدل على طول العلاقة، وطول الذكريات؛ لذا كان من حق ناجي أن يستفهم متعجبًا، وأبرع ما في الاستفهام احتواؤه على صورتين غاية في الروعة والجمال، وهي في قوله:(كيف يبلى يا حبيبي) وهذا هو التصوير الأول، والآخر: في الاستفهام نفسه قوله:(طبعناه على قلب السنين) وقد أخر الشاعر الفاعل من الجملة الفعلية في قوله:(يبلى يا حبيبي أو يموت) ليربط تصوير الجملتين ببعضهما بقوله:(ما طبعناه)،فالاسم الموصول(ما) هو الفاعل، لكن الشاعر آثر أن يقدم الفعلين المترادفين(يبلى، ويموت) ؛ لأهميتهما في بيان شدة تعجبه عن طريق الاستفهام، والتصوير الاستعاري واضح فيهما ، فكيف يكون للحب المطبوع في القلوب روح حتى يموت أو يحيا؟! إنما يكون ذلك بطريق الاستعارة المكنية التي جعلت المتلقي يتخيل هذا الحب المطبوع حيًا يتحرك يبلى ويموت، وقوله:(يبلى) تجسيم لقصة الغرام، وقوله: (يموت) تشخيص للحب ، والاعتراض بجملة النداء، لإفادة الاستعطاف، والإضافة في (حبيبي) للاعتزاز والتودد، وشبيه بهذا التصوير

مع البلاغة والروعة قول أبي نواس: [الطويل]

جَفَانِي بِلَا جُرمٍ إِلَيهِ اجتَرَمتُـهُ وَخَلَّفَنِي نِضوًا خَلِيا مِنَ الصَبـــرِ

وَلَو باتَ وَالهُجرانُ يَصدَعُ قَلبَهُ لَجادَ بِوَصلٍ دائِمٍ آخَرَ الدَهـــرِ

مَخافَةَ أن يُبلَى بِهَجرٍ وَفُرقَـةٍ فَيَلقَى مِنَ الهِجرانِ جَمراً عَلى جَمرِ[1]

وقد تقدم أبو نواس في التعبير عن البلاء؛ لارتباطه بالهجر والفرقة ، بخلاف ناجي الذي اكتفى بالترادف بين البلاء والموت ، كما تقدم أبو نواس بالتصريح عن أثر الهجران بقوله:(جمرا على جمر).

وأما الصورة الثانية التي تشير إلى قوة الماضي في ذاكرة ناجي، فهي صورة طباعة الذكريات وأثرها على قلب السنين، فكيف يكون ذلك؟! ولو صرح الشاعر بما في قلبه في صورة حقيقية لما وقفنا عند ألفاظه، وهنا لابد من بيان أثر التدفق الشعوري على عبارات الشاعر وتراكيبه وما فيهما من تصوير وتخييل، فالضمير في قوله(طبعناه) يعود إلى كثير من صور الماضي من حب وذكريات وآثار ، وقد شبه الشاعر كل هذا بشيء قابل للطباعة والنسخ،ثم حذف هذا الشيء ورمز إليه بالفعل (طبع)على سبيل الاستعارة التبعية، وقوله:(على قلب السنين) تشخيص وتجسيد للسنين، وإيحاء بقوة حبه، وتشبيهه للسنين بجسم حي له قلب ينبض على سبيل الاستعارة المكنية، وتكرار الاستفهام في قوله:(كيف يبلى ما كتبناه) يعطي للتعجب قوة في الأسلوب ، كما أن تجديد الصورة داخل الاستفهام يجعله أكثر تأثيرًا ، وأبلغَ في أداء المراد، فقد كنى الشاعر بقوله:(كيف يبلى ما

([1]) ديوان أبي نواس(٢٧٩) طبع على نفقة/إسكندر آصاف- شرح / محمود أفندي- المطبعة العمومية بمصر-ط١- ١٨٩٨م.

كتبناه) عن الشوق وذكريات الحب الكامنة في نفسه ، وتأتي الاستعارة بحلتها المختلفة في قوله(وخططناه بسهد ودموع) وكأن الشاعر قد اتفق مع محبوبته أن يخطا بأيديهما مستعملين (السهد والدموع) أقلامًا يخطان بهما ذكرياتهما .

وأبلغ من تعبير ناجي في الكناية عن الشوق والذكريات قول أبي فراس: [الطويل]

إذا اللَيلُ أضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى وَأذلَلتُ دَمعًا مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ

تَكادُ تُضيءُ النارُ بَينَ جَوانِحي إِذا هِيَ أذكَتها الصَبابَةُ وَالفِكرُ[1]

حيث يتقدم أبو فراس في استخدام النار المشتعلة بين جوانبه دليلا على شدة شوقه، واستعمال ناجي للنار لم يكن مرتبطًا بجوانبه وإنما استعمله في الكتابة ، فكان أبو فراس أبلغ في أداء معنى الشوق، وأما تقدم ناجي ، فيأتي من ناحية جعل محبوبته شريكًا له في ذلك الشوق ؛ وذلك باستعمال ألف التثنية في الفعلين(كتبناه، وخططناه) فكان أفضل في تأدية معنى الشراكة والوصال بينه وبين محبوبته.

وقوله:(وخططناه بسهد ودموع) استعارة مكنية بها تصوير للسهد والدموع بأقلام يخط بها، وحذف الأقلام ورمز إليها بالفعل (خط) ، وقد جعل الشاعر كلا من الليل والنهار بطلين للصورة في قوله:(يشهد الليل عليه والنهار والشهيد) حيث تتجلى الاستعارة المكنية في تشبيه الشاعر لليل والنهار بصورة رجلين يشهدان على هذا الحب ، وحذف الشاهدين

([1]) ديوان أبي فراس الحمداني(٦٠، وما بعدها) تحليل وشرح/نخلة قلفاط – مكتبة الشرق–بيروت–١٩١٠م.

ورمز إليهما بالفعل (يشهد) ، وعطف الشاعر لفظة شهيد على الليل والنهار رغبة في تأكيد زعمه باستحالة فناء حبه الذي يشهد عليه ثلاثة(الليل، والنهار، والقلب) والتعبير بقوله:(والشهيد المتواري في الضلوع) كناية عن القلب، وفيها تشخيص كأنه شهيد متكفن بالضلوع، وهذا يكثر في شعره، كوصفه للقلب بالشهيد حين قال: [المتقارب]

وَيَا صَخرَةَ العَهدِ أبَتُ إليكِ وَقَد مَزّقَ الشّملُ مَا مَزَّقَـــا

أُرِيك مَشِيبَ الفُؤادِ الشَّهِيـ ـــدِ وَالشَّيبِ مَا كَلَّلَ المَفرِقَا![1]

ويتضح الأثر البلاغي للاستفهام وعلاقته بالانفعالات النفسية من ناحيتين الأولى: إظهار المتلقي في صورة الواقف موقف الشاعر جراء ظلمه من محبوبته بظنها أن الماضي قد ولى وزال أثره، مما أثر في نفسيته، فجاء الاستفهام متعجبًا يكسوه الإنكار على هذا الظن، والثانية: احتواء كل من الاستفهامين على صور استعارية تؤازر الغرض البلاغي الذي جاء من أجله، فأصبح أسلوب الاستفهام مستحسنًا مقبولًا في أذن المتلقي، وليس هذا وفقط ، بل عبر عن الحالة النفسية التي تنم عن الشعور الذي يحس به ناجي، من استحالة فناء هذا الحب، وإن طال البعد والفراق، وهذا كله يوضح العلاقة بين الاستفهام والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر .

(1) الأعمال الشعرية الكاملة(١٧٨).

النموذج الثاني:

ومن المعاني البلاغية التي خرج إليها الاستفهام بـ(كيف)معنى التعجب والتحسر والأسى، حيث يتضمن هذا النموذج أسلوبًا استفهاميًا يؤكد على تعجبه الشديد من تغير حاله بعد فراق أحبابه، متحسرًا على تلك الحالة التي أصبحت عليها دار أحبابه بعد فراقهم ومنكرًا لها، وقد كانت قبل ذلك جنة عامرة تغمره بالسعادة.

وهنا تثير مشاعره حال الدار، وكأنه تأثر بذلك تأثرًا شديدًا ، فحاول أن يُسرِّي عن نفسه بالاستفهام الذي جعله الشاعر متنفسًا له ، يعبر من خلاله عما تحويه نفسه من انفعال، لكن يبدو أن تأثره كان شديدًا، فدفعه إلى عدم السيطرة على ألفاظه وصوره، يتضح ذلك في قوله: [الرمل]

هَذِهِ الكَعبَةُ كُنَّا طَائِفِيهَـــا وَالمُصَلِينَ صَبَاحًا وَمَسَاءَ

كَم سَجَدنَا وَعَبَدنَا الحُسنَ فِيهَا كَيفَ بِاللَّهِ رَجعَنَا غُرَبَاءَ؟![1]

فقد عاد الشاعر إلى دار أحبابه، فوجدها قد تغير حالها، وقد كانت من قبل جنته وسعادته، وهو ما يشير إليها قائلًا:(هذه الكعبة) ولا يخفي ما في البيت من قبح التشبيه، حيث جعل بيت حبيبه كالكعبة يطوف حوله المصلون صباحًا ومساءً، وزاد ناجي تشبيهه قبحًا بقوله:(كم سجدنا وعبدنا) وهي ألفاظ يأنف المؤمن أن يتوجه بها لغير الله مما يدل على إغراقه في رومانسيته وعاطفته إلى الحد الذي أخرجه عن صوابه، وهذا يذكرني بما ثار من نقد حول قول أحمد شوقي: [الخفيف]

([1]) ديوان إبراهيم ناجي(١٣).

وَطَنِي لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ نَازَعَتنِي إِليهِ فِي الخُلدِ نَفسِي[1]

فقد زعم بعضهم أن هذه المبالغة مقبولة في التعبير عن حب الوطن ، إلا أن هذا الرأي عار عن الصحة ، ويكفي في الرد عليه قول الرافعي:" وهذا البيت مما يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة، ولم يفطن أحد إلى فساده وسخافة معناه؛ فإن الخلد لا يكون خلدًا إلا بعد فناء الفاني من الإنسان وطبائعه الأرضية، وبعد أن لا تكون أرض ولا وطن ولا حنين ولا عصبية؛ فكان شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض ولا وطن ولا دول ولا أمم ولا حنين إلى شيء من ذلك- فإني على ذلك أحن إلى الوطن الذي لا وجود له في نفسي ولا في نفسه...وهذا كله لغو ... والمعنى بعد من قول ابن الرومي: [الطويل]

وَحُبّب أوطَانَ الرِّجَالِ إِلَيهِمُ مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّبَاب هُنَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أوطَانَهُم ذَكَّرتهُمو عُهودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنّوا لِذَلِكَا[2]

ومنازعة النفس هي الحنين، ومعنى ابن الرومي وإن كان صحيحًا غير أنه لا يصلح لفلسفة الوطنية في زمننا"[3].

والاستفهام في قوله:(كيف بالله...إلخ) يفيد الاستنكار الذي يحمل في طياته التعجب ، ونلمس فيه لذعة التحسر والأسى، وقوله: (بالله) اعتراض

([1]) الشوقيات-لأحمد شوقي(٤٣٠) مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر.

([2]) ديوان ابن الرومي(١٤/٣) شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج-دار الكتب العلمية-ط٣-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

([3]) وحي القلم -لمصطفى صادق الرافعي(٢٧٤/٣)دار الكتب العلمية -ط١-١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

بالقسم حتى يؤكد ما يستنكره على حبيبته، ويتجلى الأثر البلاغي للاستفهام هنا من كونه ردًا أو جوابًا لمن يستفهم عن مدى العلاقة التي كانت بين الشاعر وامرأته التي هجرت دارها، وهو ما أوضحه الشاعر في التشبيه الذي أنف ذكره، وما فيه من مبالغة في توجهه إلى هذه الديار، وكأن الشعور النفسي ما زال مهيمنًا على أحاسيس الشاعر، فأراد أن يعبر بالاستفهام عن مدى هذه العلاقة .

النموذج الثالث:

ومن استفهامات ناجي بـ(كيف) هذا الاستفهام الرائع، الذي يعبر به عن صبابته وشوقه اللذين تحولا إلى ما يشبه العلة التي أصابته، ولا شفاء منها، ويصور فيه تشوقه إلى نسائم جنة سحرية في زمن الربيع الطلق، كأنه يتحسر على أيام خوال لها أثر قوي في حياته، وهي أيام ولت بما فيها من رغد وهناء وطيب نفس وسعادة يتحسر عليها، وفي أبيات تفيض سحرا ورقة ، وألفاظها منتقاه بدقة، فعبرت عما بداخله تعبيرًا دقيقًا من خلال المعاني التي خرج إليها الاستفهام ، وهي التحسر والندم ، والحيرة والاضطراب وغيرها، يتضح ذلك في قوله: [الكامل]

كَيفَ السَّبِيلُ إِلَى شِفَاءِ صَبَابَةٍ ... الدَّهرِ أجمَع مَا يَبُلُّ صَدَاهَا؟!

وَإِلَى نَسَائِم جَنَّةٍ سحـــــرِيّةٍ ... قُرّحَت أجفَانِي عَلَى مَغنَاهَا!

تَضَّيتُ أيَّامِي أضُمُّ خَيَالَهَـــا ... وَأضَعتُ أيَّامِي أقُولُ عَسَاهَا![1]

---

(1) ديوان إبراهيم ناجي(٥٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته.[الصحاح-للجوهري تـ٣٩٣هـ: ١/١٦٠-صبب] تحقيق :د/ أحمد عبدالغفور-دار العلم للملايين-بيروت-ط٤-١٤٠٧هـ، يبل صداها: يروي عطشها، قرحت: أي: أصابتها القروح من كثرة البكاء[تاج العروس-للزبيدي تـ١٢٠٧: ٧/٤٤-قرح] تحقيق: مجموعة من المحققين-دار الهداية.

فقد صور ناجي صبابته وشوقه بأنها علة لا شفاء منها ، وعطش دائم لا ريَّ له على مدى الدهر ، والاستفهام في قوله:(كيف السبيل) يشير إلى مدى الحيرة والاضطراب والقلق المسيطر على الشعور النفسي الذي يعيشه الشاعر ، والاستعارة واضحة في قوله: (الدهر أجمع ما يبل صداها) فقد شبه الدهر بالندى الذي يبل الصدى ، وحذف المشبه به، وهو الندى، ورمز إليه بجملة (يبل صداها) على سبيل الاستعارة المكنية، وفيها إيحاء بشدة الشوق، وقد كرر الاستفهام نفسه مع حذفه للدلالة عليه في البيت الثاني، والمقصود(كيف السبيل إلى نسائم جنة سحرية) ليدلل على مدى تحسره على أيام حبه، والتي وصفها بأنها جنة سحرية ، ووصف الجنة بالسحر فيه إيحاء بمدى سعادة الشاعر في أيام وصاله، والتي قضى فيها ذكرياته، ولا يخفى ما في التنكير من التعظيم ، والتصوير الاستعاري في قوله(جنة سحرية) يبرز مدى فرحه بأيام وصاله التي كانت تمثل له جنة يستروح نسائمها العذبة ، فلما تغير الحال تقرحت أجفانه بكاءً على فواتها وانقضائها ، وجمع (نسائم) يوحي بتعدد ألوان السعادة والمتع والجمال ، ولا يخفي ما في قوله: (قرحت أجفاني ...) من الكناية عن الحزن والوجد وكثرة البكاء الذي يقرح الجفون المحمرة من طول السهر،وبعد الرجاء ، وما يعطى الاستفهام هنا قوة وتأثيرًا، الاعتماد على الصورة دون التصريح المباشر، وقد ختم الشاعر أبياته بجملة تظهر مدى حنينه لماضيه وندمه على ما ضاع منه ، وعاش طيلة عمره يرجو عودته ويعانقه في الخيال ، حيث لم يبق له إلا الذكريات بقوله:(وأضعت أيامي...)، والتصوير الاستعاري هنا ينم عن الحالة النفسية التي يعانيها ، حيث يضيع العمر ، وتنقضي الأيام ما بين عسى وليت.

النموذج الرابع:

ومن معاني التعجب والتحسر بأسلوب الاستفهام عند ناجي أن نجد ترتيب الأحداث داخل الأبيات مكونًا رئيسًا لتجسيد الشاعر عواطفه، واعتبار هواه صرحًا شيده ، حتى خيل إليه أنه لن يتقدم حيث يقول:[الرمل]

يَا فُؤَادِي رَحِمَ اللهُ الهَـــوَى كَانَ صَرحًا مِن خَيَالٍ فَهَـوَى

اسقِنِي وَاشْرَب عَلَى أطلَالِـهِ وَارو عَنِّي طَالَمَا الدَّمعُ رَوَى

كَيفَ ذَاكَ الحُبُّ أمسَى خَبَرًا وَحَدِيثًا مِن أحَادِيثِ الجَـوَى

وَبِسَاطًا مِن نَدَامَى حُـلم هُم تَوَارَوا أبَدًا وَهوَ انطَوَى[1]

فالمنادى وقع موقع السامع المستجيب في تصوير استعاري يجعل فيه الشاعر فؤاده مستعار له، والإنسان الذي يستجيب للنداء مستعار على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية ، ويتداخل مع هذا التصوير تصوير آخر صار فيه الهوى شبيهًا بالصرح ذي البناء العالي الذي شيده شاعرنا ومحبوبته ، وحذف أداة التشبيه مع وجه الشبه يجعل الصورة بليغة في أداء المعنى قوية في وجه الشبه، وقول الشاعر(رحم الله الهوى) فيه إشارة إلى قطع الصلة التي لم يكن يتمناها ، وهو بتلك الجملة الدعائية يدعو لهواه بالرحمة، وكأنه توفي مأسوفًا عليه ، وهو في حد ذاته تشخيص يفيد الحسرة والندم ، وقول الشاعر: (اسقني واشرب على أطلاله) كناية تؤكد معنى تحسر الشاعر على هذا الصرح الكبير الذي ما ظن يومًا أن يهدم،

(1) ديوان إبراهيم ناجي(١٣٢)

وما يقوي تلك الكناية قوله:(وارو عني طالما...إلخ) وإن قلنا: بأن التعجب معنى يفيده الاستفهام في قوله:(كيف ذاك الحب...إلخ) لاعترى هذا المعنى النقص؛ لأن التعجب وحده لا يكفي، ويمكن أن يجاور هذا المعنى معاني أخرى كالحسرة والندم والاستغراب ، وشدة الدهشة، وغير ذلك من المعاني التي تجول داخل نفسية الشاعر من خلال استفهامه الذي اعتمد فيه على بيان حبه، واعتباره بناءً قويًا صلبًا لا يستطيع أحد أن يقترب منه، ولعلنا لا نخطئ إن قلنا: إن الكناية ليست بعيدة في قوله:(كان صرحًا من خيال فهوى) حيث يأتي المعنى الكنائي ليساعدنا في استنتاج المعاني البلاغية للاستفهام ، ألا وهو الجفاء بعد الوصل، أو البعد بعد القرب، والشدة بعد الرقة واللين، وكلها معاني ممكنة ما دمنا نخوض في أعماق الشاعر ونعيش مع انفعالاته النفسية ،وهو بخلاف تصوير الشاعر الذي اعتبر حبه سدًا منيعًا وصرحًا عظيمًا لا يمكن تصدعه أو هدمه حين قال:[الكامل]

تَاللهِ إنِّي قَد عَهِدتُ بِقطـــرِهِ صَرحًا مَنِيعًا بِالسُّرُورِ تَشَيَّـــدا

فَكَم ارتَشَفنَا فِي ذُرَاه الرَّاحِ عَن تِلكَ الثَّنَايَا فَارتَوَى مِنَّا الصَّـــدَا

وَكَم اعتَدَنَا الالتِقَاءَ بِفَيئَـــةٍ قَد أصبَحَت لِلعِيدِ أشهَى مَوردَا[1]

والفارق بين الصرح عند ناجي، والصرح عند هذا الشاعر أن أجزاء الصرح عند (نقولا) بنيت بالسرور، مما يشعرنا بقوة هذا الصرح الذي يملؤه الأمل، ويعلوه التفاؤل، وهو ما أظهره بلفظة(ارتشفنا)، وجملة:

([1]) الأبيات لنقولا بن يوسف بن ناصيف أغا الترك في ديوانه (١٢٥) ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه: فؤاد البستاني – مطبوعات مديرية الآثار – المطبعة الكاثوليكية – بيروت– ١٩٤٩م.

(فارتوى منا الصدى، أشهى موردا) بخلاف ناجي الذي أضعف صرحه بلفظة(خيال) فكيف يرجو المنعة والقوة لصرح كان عماده الوهم والخيال؟!

وكذلك يأتي التصوير في قوله:(طالما الدمع روى) معينا للاستفهام في موضعه؛ لأنه جعل من الدمع محدثًا وقصاصًا على سبيل الاستعارة المكنية، التي ربما ما فارقتنا مذ قرأنا للشاعر قصائد، وحللنا له أبياتًا، ويمكننا أن نقول: إن الأثر البلاغي للاستفهام يأتي في أكثر من جهة، الأولى: حددها أسلوب النداء في البداية، خاصة الجملة التي تحمل الغرض من النداء ، وهي(رحم الله الهوى)حيث يأتي أسلوب الاستفهام يرد على تلك الجملة ، بأن الترحم على هذا الهوى كان بسبب أنه أمسى خبرًا، والثانية: أن أسلوب الاستفهام هنا يعد رابطًا قويًا يشد كل بيت إلى جانب أخيه، ويجذب الأبيات والمعاني بعضها إلى بعض، والثالثة: شعور السامع بأن أسلوب الاستفهام هو عصب وعمود تلك الأبيات كافة؛ حيث إنها كلها تدور حول معانيه البلاغية التي ذكرناها آنفًا من تعجب وتحسر...إلخ.

النموذج الخامس:

ومن أحسن ما جاء به ناجي في استعمال(كيف) والاعتماد عليها أن يأتي بأسلوب استفهام –خرج من معناه إلى معنى بلاغي آخر يتناسب مع الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر، وهو التعجب والإنكار والاستبعاد– كبنية أساسية من مباني الرمزية في شعره، ممهدًا لها بتصويرات وتخيلات تنهض بالمعنى الكلي لغرضه الشعري؛ وذلك حين يقول: [البسيط]

عِندِي سَمَاءُ شِتَاءٍ غَيرُ مُمطِرَةٍ ... سَوداءُ فِي جَنَبَاتِ النَّفسِ جَردَاءُ

خَرسَاءُ آوِنَةً هَوجَاءُ آوِنَـــةً ... وَليسَ تَخدَعُ ظَنِّي وَهيَ خَرسَاءُ

وَكَيفَ تَخدَعُنِي البَيدَاءُ غَافِيَـةً وَلِلسَّوَافِي عَلَى البَيدَاءُ إِغفَـاءُ؟

أأنتِ نَادَيتِ أم صَوتٌ يُخَيّلُ لِي فَلِي إِلِيكِ بِإِذنِ الوَهمِ إِغمَـاءُ؟

لَبَيكِ لَو عِندَ رُوحِي مَا تَطِيرُ بِهِ وَكَيفَ يَنهَضُ بِالمَجرُوحِ إِعيَاءُ؟[1]

فقد مهد للقارئ ببيان ما يعانيه في لحظة من لحظاته الشعورية دون أن يصرح أو يلجأ إلى الأسلوب الحقيقي ، بل كنى بما يقصده في أكثر من موضع أولها في قوله:(عندي سماء شتاء...) ليكون المعنى المكنى عنه هو تقلب الأحوال بينه وبين محبوبته ، وكأن الوصل بينه وبينها يعده من قبيل الغيث والمطر، والقطيعة بينهما يعدها من قبيل الجدب والقحط ، والتركيب في البيت الأول لا يمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، فما المانع أن يكون لدى الشاعر في الشتاء سماء غائمة ، لكنها لا تمطر؟، وقد وصف القطيعة بأسلوب رائع استخدم فيه لفظتي(سوداء، وجرداء) داخل في جنبات نفسه التي تحمل همومًا وآلامًا أشعرنا بها من خلال تصويره ، وبين اللفظتين تناسب في أداء المعنى ، فكل قحط وجدب يمكن وصفه بالسواد، وكأن ناجي يملك سماء خاصة به ، وحياة لا دخل لأحد فيها ، تملكت عليه مشاعره، وتحكمت في كوامن نفسه سماء فيها سحب وغيوم لا مطر بها ولا نعمة ، فإن هاجت هاجت دون مطر، وإن هدأت هدأت دون مطر ، وجاء ذلك في قوله:(خرساء..) وهو تصوير يحسب للشاعر؛ لأنه جعلنا نصاحبه في تصويره من أول بيت ، وكأننا أمام طبيعة متحدثة ومتحركة، صورها بنفسه في صورة المرأة التي تصمت أحيانًا (خرساء) وتهيج أحيانًا(هوجاء) على سبيل الاستعارة المكنية، وكان ظن الشاعر بتلك

([1]) ديوان إبراهيم ناجي(١٦٤)

السماء ظنًا في محله، ولم يخدع بغيومها؛لأنه مجرب لها منذ سنوات، وقد عبر عن ذلك بقوله:(وليس تخدع ظني) لينهي أبياته باستفهام إنكاري يوضح فيه مدى حيرته بالحياة، وعدم انسياقه خلف الطبيعة الخداعة، ويقول:(وكيف تخدعني..) حيث يقصد أن خبرته بالحياة جعلته واعيًا لما يحدث حوله ، وأنه لا يؤمل في محبوبته خيرًا، وقد رمز لجفاء الوصل والقطيعة بينهما بلفظة(البيداء) حتى يشعر القارئ أن العلاقة ما زالت قائمة بين الطبيعة في مشاركة أحاسيسه من ناحية السماء التي لا تجود بمائها، ومن ناحية البيداء الغافية على الطرف الآخر، وقد رمز (للسوافي) عن نداء محبوبته إليه دون جدوى؛ لأنه لا ينتظر منها جوابًا ولا وصلًا، وهو ما أشار إليه في بداية الأبيات بقوله:(سوداء في جنبات)؛ ولذلك احتار الشاعر في تسمية هذا الوصل بين كونه نداء ، أو كونه صوتًا يخيل إليه، أو كونه وهمًا يتوهمه، وبالرغم من ذلك ، فقد استعمل الاستفهام بالهمزة في قوله:(أأنت ناديت...) مع تقديم المسند إليه للشك فيه، وهو ما تظهره الأبيات ، وقوله:(وكيف ينهض...) كناية بأسلوب الاستفهام عن خيبة ظنه في محبوبته؛ لأنه يستبعد أن ينهض المريض من جرحه، وقد أضعفه المرض، وأنهك ما تبقى منه، ولعله يقصد الكناية عن شدة المعاناة ، حتى بلغ به المرض مبلغًا لحسن ظنه ، وأمله الذي خاب في محبوبته، ومن هنا يظهر الأثر البلاغي للاستفهام بـ(كيف) في الأبيات بالاعتماد على التصوير والتخييل من ناحية، والاعتماد على مشاركة السامع لمعاني التعجب والإنكار والاستبعاد من ناحية أخرى، مع جودة السبك في نظم الأبيات، وبلوغ الاستفهام من حسن التعبير مبلغًا جعله عمود الأبيات، ورأس معانيها ، مع الأثر الظاهر في دوران الأبيات حولها، وهذا كله يظهر مدى العلاقة بين الاستفهام ، والحالة النفسية التي يمر بها ، فهي

حالة إحباط ويأس سيطرت عليه؛ لما بدا من محبوبته تجاهه.

النموذج السادس:

كما يلجأ ناجي في بعض أبياته إلى التعبير عن الاستفهام -الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى بلاغي يفيد التعجب الذي يحمل في طياته رائحة الإقرار والاعتراف -بأسلوب فيه مبالغة عن مدى بلوغه من الفرح والفأل مبلغًا عظيمًا، حتى لكأنه وهب حياة فوق حياته ، وعمرًا فوق عمره،؛ وذلك حين يقول:[الرمل]

بَرِئَت نَفسِي مِنَ الحِقدِ وَلَم ... أُخْفِ ضِغنًا لَكِ بَينَ العَبَرَاتِ

إِنَّ يَومًا وَاحِدًا أَسعَدَنِـــي ... جَمَعَ الأَفرَاحَ طُرا مِن شَتَـاتِ

وَهوَ عُمرٌ كَامِلٌ عِشتُ بِهِ ... كُلَّ أَعمَارِ الوَرَى مُجمعَــاتِ

لَستُ أَنسَاكِ وَقَد عَلمتِنِي ... كَيفَ يَحيَا رَجُلٌ فَوقَ الحَيَاةِ؟![1]

فقد أعلن شفاءه وبرءه من الحقد الذي هو مرض نفسه من أثر الفراق البغيض ، ولا يخفى ما في الكلام من التصوير الاستعاري في قوله :(برئت نفسي من الحقد...) ، وكأن الآفات التي تقع فيها البشرية تجنبته- وغالبًا ما يشير ناجي ، إلى أن الحب الذي يحياه ويحيا به ، يرفعه فوق مستوى البشر وآفاتهم ، وذلك يذكرنا بقوله في الأطلال: [الرمل]

وَأَنَا حُبٌ وَقَلَـــبٌ وَدَمٌ ... وَفِراشٌ حَائِرٌ مِنكَ دَنَا

وَمِنَ الشَّوقِ رَسُولٌ بَينَنَا ... وَنَدِيمٌ قَدَّمَ الكَأسَ لَنَـا

([1]) ديوان إبراهيم ناجي(٢٥٤)

وَسَقَانَا فَانتَفَضنَا لَحظَةً لِغُبَارٍ آدَمِي مَسَّنَـــا[1]

فهو يسمو بحبه أو يسمو به الحب فوق غبار الآدمية وشهواتها وافترقت عنه، حتى صار مكشوف العواطف لمن حوله، فلم تخف دموعه، ولم يستطع أن يستتر وراء عبراته، دليلًا على فطرته النقية ، وسلامة سريرته ، لكنه يعلن في تصوير رائع أن عبراته لا تخفي بينها ضغنًا ولا حقدًا ، فمزج بين ما هو معنوي وما هو حسي في تعبير يؤكد رهافة حسه ، وصفاء نفسه، وظهر ذلك في قوله:(ولم أخف...) وبأسلوب بلاغي شيق جعل من كل نفس لم تسلم من حقد وبغضاء نفسًا مريضة ترجو الشفاء والدواء، وقد عبر عن ذلك بالفعل (برئت) ليدلل على أن نفسه لا تحتاج إلى علاج ، وكل ذلك كان تمهيدًا لإحساسه ووصف مشاعره وانفعالاته بأنها تطير فرحًا ، وتشدو سعادة بلقاء محبوبته ، وكأن الأفراح كلها في هذه الدنيا جمعت بين يديه (جمع الأفراح طرًا) ، والتعبير بقوله: (من شتات) فيه قصد من الشاعر أن الأفراح للبشرية لا تدوم ، وأن بينها وبين الحزن توارد بين البشرية جمعاء، فيوم سرور ويوم حزن، لكنه بلقائه صار جامعًا لتلك الأفراح كلها، ومن المبالغة أن يجمع ناجي كل أعمار البشر في عمره ، وله العذر في ذلك ؛لأن لقاء محبوبته يعد بالنسبة إليه كنفخ الروح في الجسد الميت ، وقد ظهر ذلك من خلال التعبير بالجملة الاسمية في قوله:(كل الأعمار...) نافيًا احتمال نسيانها، أو السهو عن ذكرها في قوله:(لست أنساك...) متسائلًا في تعجب فيه رائحة الإقرار والاعتراف في قوله:(كيف يحيا..) ولا أعجب هنا من هذا الأسلوب الاستفهامي الخلاب الذي يعبر فيه ناجي عن سعادته الغامرة وإحساسه النفسي الذي يتحدى

([1]) المصدر السابق(١٣٤، وما بعدها)

بها العشاق في لقائهم مع محبوباتهم ، وأجمل ما في هذا الأسلوب هي المبالغة المقبولة؛ لأن السعادة كما يقول المختصون: تزيد من صحة الإنسان، وتبرئه من كثير من علله، وقوله:(فوق الحياة) يشعر القارئ بمدى لهفة ناجي على اللقاء المتكرر بمحبوبته ، كأنها تخرجه من هذا العالم الحزين الذي سيطر على كوامن نفسه إلى عالم آخر يستمد فيه الإنسان ما استطاع من عمر وحياة فوق ما قدر له، وهذا مما تجلى به أسلوب الاستفهام بين تلك الأبيات.

النموذج السابع:

ويأتي التعبير بأسلوب الاستفهام في أكثر من موضع بين أبيات مترابطة يظهر فيها هذا الأسلوب كعمود من أعمدة المعنى في تعبير رومانسي رقيق يحفه معنى التعجب والتحسر من تغير الحال وتبدله، وهذا مما أثر في نفسية الشاعر ، وجعله يحس بالفارق بين الحالتين، ويظهر ذلك في قوله: [الرمل]

بَينَ سُهدٍ وَعَذَابٍ وَضَنَـــى ... مَرَّ لَيلِي، ذَاكَ حَالِي وَأَنَـــا
أسألُ الأنجُمَ عَن حَالِ المُنَى ... يَا حَبِيبِي كَيفَ صَارَت بَينَنَا؟
كَيفَ أمسَى يَا حَبِيبِي عَهدُنَا ... بَعدَمَا طَابَ هَوانَا، وَدَنَـــا؟
كُلُّ مَا كَانَ بَعِيدًا وَدَنَـــا ... كُلُّ نَجمٍ مِن سَمَاوَاتِ السَّنَا!
آهٍ لَو يُنظَرُ حَالِـي الآنَ آهٍ ... حِينَمَا ضَاقَت بِآلَامِي الحَيَاه
نَدِمَ النَّجمُ عَلَى غَالِي سَنَـاه ... وَرَأى كَيفَ انطَوَينَا فَطَـوَاه[1]

(1) ديوان إبراهيم ناجي(٢٩٦)، وفي الديوان (عبيدًا ورنا) وهذا لا يتناسب مع سياق الكلام ، والصواب(بعيدًا ودنا).

فقد مرت عليه الليالي بين السهر والعذاب واللوعة مشخصًا لحالته النفسية وشعوره بقوله:(ذاك حالي وأنا...) وكأنه جرد من نفسه إنسانًا يشاركه تلك الأحاسيس بين الليالي المظلمة، وهو يسأل نجوم السماء عن حاله ، وكيف وصلت تلك الأمنيات بينه وبين محبوبته؟ وما هي حالها الآن؛ ليظهر المعنى البلاغي للاستفهام في قوله:(كيف صارت...) وهو التحسر والأسى ، وأجمل ما في هذا الأسلوب أنه جاء تاليًا موضحًا للتصوير في قوله:(اسأل الأنجم...) الذي دخلت فيه الاستعارة بقوة ؛ لأن الأنجم لا تسأل، وإنما تشاهد ويهتدى بها ، وقد أحلها الشاعر محل الإنسان الذي يستفهم منه على سبيل الاستعارة المكنية، ويتآزر مع سؤال النجوم أحوال المنى-أيضا- ومتى كان للمنى أحوال؟! إنها أحاسيس لا ترى وإنما تحس، وقد أنزلها الشاعر منزلة الشخص الذي يسأل عن حاله على سبيل الاستعارة المكنية، وحين يكرر ناجي الاستفهام بقوله:(كيف أمسى ...) بعد قوله:(كيف صارت..) فهو إنما يؤكد على معنى التحسر والأسى بعد تحول جنة الوصال إلى آلام ومعاناة ، وقد ظهر ذلك في لفظة(بعدما) أي: أن الماضي شيء والحاضر شيء آخر، وهو ما يظهر المعنى البلاغي للاستفهام، وهو التحسر الذي يعلوه معنى التعجب من تبدل الحال، والتعبير بالجملة الفعلية(طاب هوانًا) يؤكد هذا المقصد ،وقوله:(كل ما كان بعيدًا...) وهو يعني بذلك أن كل ما كان بعيدًا قد اقترب منهما حين قربهما ، ثم زال عنهما حين افترقا، حتى أن النجوم البعيدة قد دنت منهما، ويلخص الشاعر آلامه وأوجاعه في بيتين متتاليين ؛ ليطل من خلالهما الاستفهام كتعبير يصور لنا مدى تلك الأوجاع وعلاقتها بالانفعالات النفسية لديه ، وقوله:(آه) مكررة يوضح ذلك، وأبلغ ما في البيتين حين يصور الحياة بتعبير كنائي رائع، ويجعلها معبرة عن نفسه

المتألمة حين يقول:(ضاقت بآلامي الحياة..) وهو يريد الكناية عن كثرة أوجاعه، وبلوغه من الضيق والحزن مبلغًا عظيمًا ، والتصوير بضيق الحياة تصوير خلاب ؛ لأنه يجعل الحياة على سعتها ورحابتها تضيق بآلامه، وقد جعل ناجي الطبيعة تشاركه هذا الضيق، حين عبر عن ندم النجوم على تلك الأيام الخوالي في تصويره:(ندم النجم...) لئلا يستغني عن الاستعارة المكنية، ويختم بها أبياته ملازمة للتعبير عن حال الحب الذي انقطع ، وكأن النجم لما رأى الشاعر وامرأته قد انفصلا ونسيا حبهما نسيه هو الآخر، وهو تعبير يحسب للشاعر ، حيث جعل من النجم شاهدًا اعتراه الحزن على ما فعلته بهما الأيام ، ويتجلى الأثر البلاغي هنا من خلال تعبير الشاعر به عن معان بلاغية دون الحاجة إلى الإجابة عنها ، وهي أساليب معبرة بحالها عن مدى وصول حال الحب بين هذين العاشقين إلى ما صارت إليه، كما أن تكرار الاستفهام في أكثر من موضع أظهر مدى حيرة واضطراب كوامن الشاعر النفسية، وعدم استقرارها، وهذا ما يؤكد علاقة الاستفهام بهذه الانفعالات.

النموذج الثامن:

كما يلجأ ناجي – أحيانًا– إلى أسلوب الشرط مصاحبًا لأسلوب الاستفهام الذي أفاد التقرير والتأكيد في دلالة على تنوع أساليبه التي تفرضها عليه مشاعره حين يقول: [السريع]

إِنْ نَوَّرَ النَّجمُ بِهِ مَـــرَّةً فَإِنَّ إِشرَاقَكَ لِي مَـــــرَّتَانِ

وَكَيفَ يُبقِي لِيَ الشَّك حَيرَةً وَلِي عَلَى بُرجِ المُنَى نَجمَتَانِ؟[1]

(1) ديوان إبراهيم ناجي(٣٠٥)

فهو يجعل من محبوبته ضياء ينير له الطريق، ويهدي له السبيل على حسب قوله، وقد قيد هذا المعنى بأسلوب الشرط، وجعل من النجم معادلًا لمحبوبته في مقارنته بها، لكن امرأته تتفوق بإشراقها مرتين بينما يشرق النجم مرة واحدة، وفي كل مرة يطلع فيها النجم تتفوق عليه امرأته، ليأتي الاستفهام على غير حقيقته مؤكدًا هذا المعنى بمعنى بلاغي رائع ، وهو التقرير والتأكيد على وثوق الشاعر من حبه، وتمكنه من قلب محبوبته؛ لأنه نفي الشك في حبها بهذا الاستفهام، وأكد على عشقه بتقديم الخبر في الجملة الاسمية في قوله:(ولي على برج المنى نجمتان) ليخرج لنا ناجي بتصوير رائع، وهو نسبة البرج إلى المنى، وتصوير المنى في صورة نجم عظيم له برج، ولا يخفى ما في الكلام من مراعاة النظير، حيث ذكر (النجم والبرج) ، ويريد بذلك تعظيم أحاسيسه بالحب ، فشاهدنا تلك الأحاسيس من خلال هذا المبنى(البرج) وهو تصوير يحسب لناجي؛ لأن التعبير بهذا اللفظ ربما لا يصادفنا إلا في أشعار الحروب والمعارك ، لينتقل من معنى معنوي إلى معنى حسي ملموس، فيكون أشد أثرًا ، ويتخيل المتلقي من خلاله عظم آمال الشاعر التي يتمناها في حبه ، وأسلوب الاستفهام هنا إن كان على حقيقته يختفي أثره ، وتقل أهميته في أداء المعنى، وأبلغ ما في الشعر بلاغة الأساليب، وتخير التراكيب، وانتقاء التصاوير لأداء غرض الشاعر، وهذا ما فعله ناجي في هذين البيتين ، ولم يتخلف هنا عن شواهده السابقة في إثراء المعنى بالاستفهام، وإيجاز المراد بهذا الأسلوب، وكأننا لو اكتفينا بجملة الاستفهام لاستطعنا أن نوجز مراده ومقصده دون خلل أو تقصير، وهنا تتضح العلاقة بين الاستفهام والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، فهي حالة حب وعشق، أراد الشاعر أن يتخيلها مع محبوبته التي فاقت بجمالها وإشراقها جمال النجوم، وهذه

مبالغة تحمد بين الحبيبين.

النموذج التاسع:

وتظهر براعة ناجي في استخدامه أسلوب الاستفهام الذي خرج من معناه إلى معنى بلاغي هو التقرير والتعجب والإنكار ، الذي يتلاءم مع حالته النفسية ، فناجي من الشعراء الذين تنقلوا في عشقهم بين جمال وآخر ، ورقة وأخرى؛ لأنه لم ير الكل بعين واحدة، فكل امرأة عنده جمال بذاتها تستقل به عن الأخرى، وهو ما فعله حين خاطب إحداهن بقوله: [الخفيف]

إِيهِ سُونيَا أنتِ الرِّضَا وَالحَنانْ كَيفَ ضَاءَت بِكِ اللَّيَالِي الحِسَانْ؟

وَغَدَا الدَّهرُ لَحظَةً مِن سَـلَامٍ وَإِذَا كُلّ مَا عَلَيهِ أَمَـــانْ

لَا أَرَانَا فِيهِ خُدِعنَا إِذَا مَـــا بِكَ عَزَّ الهَوَى وَفَاتَ الهَـــوَانْ

كَيفَ أَنسَاكِ إِذَا نَسِيتُ شَقَائِي وَعَذَابِي، وَلَيسَ بِي أَشجَـــانْ؟

وَإِذَا بِي أَرَى لِعَينَيكِ دُنيَـــا خَيرَ مَا فَكَّرَتْ بِهِ عَينَـــانْ[1]

والتعبير بقوله:(كيف ضاءت..) تعبير استطاع الشاعر من خلال الاستفهام الذي أفاد معنى التقرير أن يبرز جماله ، فهو هنا يقول: كانت الليالي مظلمة ، ورأى الشاعر زوال ظلامها بنور محبوبته ، وهذا يشير إلى أن أقل نور وأضعفه حينئذ يظهر في الظلام، أما إذا كان في الليالي حسن ونور، وزاد ضياؤها، واشتد بنور محبوبته، فهذا يشير إلى أن نورها ساطع وشديد طغى على ما في الليالي من نور، وحسنها طغى على ما

([1]) ديوان إبراهيم ناجي(٣٣١)

فيها من حسن ، وشاعرنا أجاد في ذلك ، وتأمل قول ابن زيدون: [الطويل]

إِذَا هُوَ أهدَى اليَاسَمِينَ بِكَفِّهِ أخَذتُ النُّجومَ الزُّهرَ مِن راحَةِ البَـدرِ

لَهُ خُلُقٌ عَذبٌ وَخَلقٌ مُحَسَّنٌ وَظَرفٌ كَعَرفِ الطيبِ أو نَشوَةِ الخَمرِ[1]

فقد جعل راحة محبوبته أصلا للضياء والنور، واللجوء إلى التعبير عن تقلب الدهر قبل حبه مستحسن من الشاعر ؛ لأنه عبر عن حالته النفسية بعد هذا الحب بلفظتين ينمان عن مشاعره وأحاسيسه المرهفة(السلام والأمان)، ويتعجب ناجي بأسلوب استفهامي آخر بقوله(كيف أنساك) مستغربًا من اعتقاد محبوبته لنسيانه إياها؛ ليخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى التعجب ذاكرًا السبب القوي الذي جعله متذكرًا لحبه قويًا فيه لا يحيد عنه، وهو أن هذا الحب كان سببًا في نسيانه لعذابه وشقائه، فكيف ينساه؟ وقد رأى من عينيها دنيا ليس فيها أشجان ولا أحزان، وأنا أرى هنا أن أسلوب الاستفهام بليغ في معناه ومبناه؛ لأنه أبدى أسبابه حين استفهم، وهي أسباب قوية تنم عن الحالة النفسية التي مر بها ؛ لأن الجريح إن تمسك بأسباب شفائه ، فإنما يتمسك بها ؛لأنها تخلصه من جروحه وآلامه ، والشاعر هنا يمثل الجريح الذي ألم الحب به، ويستنكر على محبوبته زعمها في نسيانه، وهي السبب في شفائه وأفراحه، ومن هنا يتجلى الأثر البلاغي للاستفهام في أحسن ما يكون من معنى ، وأبلغ ما يكون من مبنى، ولو كان الاستفهام حقيقيًا لما احتجنا إلى تفصيل الكلام في تركيبه، وما شاركنا الشاعر في أحاسيسه وانفعالاته التي أبداها لامرأته

([1]) ديوان ابن زيدون–دراسة وتهذيب: عبدالله سنده(٣١) دار المعرفة–بيروت–ط١–١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

مؤكدًا لها أنها تمثل له كل حياته، وقد لخص ذلك في بداية الأبيات بقوله:(أنت الرضا والحنان..)، وهنا تتضح العلاقة الوثيقة بين الاستفهام والحالة النفسية له.

ويتضح من خلال التحليل لبلاغة الاستفهام بالاسم (كيف)أن الشاعر قد اعتمد عليها في رومانسيته لتفيض بمعان أبرزها التعجب والإنكار، وإظهار التحسر والندم، والتقرير والتأكيد ،وغيرها، فهو يتقلب في معاني الحب وخيالاته وأحواله وتقلباته مستفهمًا مستغربًا دهشًا مستصحبًا معه أداة الاستفهام(كيف)، وقد تجلى ذلك أكثر في أساليب الاستفهام التي اعتمدت على التصوير الاستعاري.

المبحث الثاني : الاستفهام بـ (ما) وعلاقته بالانفعالات النفسية

ومن الأدوات التي استعان بها ناجي للاستفهام لأغراض بلاغية (ما) والتي تقع على ذوات مالا يعقل، وصفات من يعقل، كقوله تعالى:﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴿٦٩﴾ ﴾[1] ما في يمينه هي العصا، وكما هو معروف(العصا) ذات غير عاقلة، والعاقل الإنسان وهنا المقصود بالذات غير العاقلة، أي: أن (ما) وقعت على العصا لا على صفة من صفاتها ، كالضرب مثلًا، وقال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴿٣﴾ ﴾[2] أي: الطيب منهن ، فلم تقع(ما) على كلمة النساء، وإنما وقعت على صفة من صفاتها[3].

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين : المطلب الأول: (ما) الاستفهامية.

عندما أراد إبراهيم ناجي أن يستعين بتلك الأداة الاستفهامية(ما)إنما كان ذلك لأغراض بلاغية خرجت بها الأداة عن معناها الحقيقي إلى معان بلاغية يتطلبها المقام ، ويقتضيها السياق، وهي: التعجب، والتحسر، والتهويل والتعظيم، والإنكار، وغيرها، وسيأتي تفصيلها وأسبابها في ثنايا عرض النماذج التالية.

---

(1) بعض آية من سورة طه(رقم:٦٩).

(2) بعض آية من سورة النساء(رقم:٣).

(3) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد-لمحمد بن يوسف الحلبي تـ ٧٧٨هـ(٢/ ٧٤٠)دراسة وتحقيق:د/علي فاخر وآخرين-دار السلام-ط١-١٤٢٧هـ، ومعاني النحو-د/فاضل السامرائي(١٣٠) دار الفكر-ط١-١٤٢٠هـ.

النموذج الأول:

وتتضح بلاغة ناجي عندما يجمع بين أسلوبين مختلفين من أساليب الاستفهام، أو بين أداتين من

أدواته في أسلوب أو في شاهد واحد، مما يدل على براعته ودقته، فهو في هذه الأبيات يثير جمال محبوبته ، وسحرها الرقيق ، فيلجأ إلى تعظيم ذلك، والتهويل في تصويره عن طريق الاستفهام الذي عبر عن دهشته أمام جمال محبوبته، وتأثره الشديد به، وتعجبه من سحرها الخلاب، وشدة انجذابه له، وهذا هو المعنى البلاغي الذي خرج إليه الاستفهام(التعظيم والتهويل، والتعجب والحيرة) وهو معنى يتناسب مع الحالة النفسية التي احتوت على مشاعره، وسيطرت على أحاسيسه، وكلا الأسلوبين له أثر كبير في إتمام المعنى، لكنه في "ما" أظهر؛ وذلك في قوله:

[الكامل]

مَن أنتَ؟! مِن أيِّ العَوَالِم سَاحِرٌ ... مُستَأثِرٌ بِأعِنَّةِ[1] الألبَـــابِ؟

حَدَّثتُ نَفسِي إذ رَأيتُكَ بَادِيًـــا ... وَأطَلتُ تِـآلِي بِغَيرِ جَـوَابِ

مَا يَصنَعُ المَلَكُ الطَّهُورُ بِعَـالمٍ ... فَانٍ وَأيامٍ كَلَمعِ سَـــرَابِ؟

مَا يَصنَعُ الأبرَارُ بِالأرضِ الَّتِـي ... سَاوَت مِنَ الأبرَارِ وَالأوشَابِ[2]؟[3]

([1]) الأعنة: جمع عنان وهي الألجمة.[العين: ١/ ٩٠-عنن].

([2]) الأوشاب: الأوباش[جمهرة اللغة: ١/ ٩٢٦-وشب]

([3]) ديوان إبراهيم ناجي (٥٠، ٥١).

فقد استهل الشاعر أبياته بالاستفهام وهي ظاهرة لا تنكر عنده، ولعل ما ذكرناه من أسباب ذلك، والتي كان القلق والاضطراب أوضحها، هو جانب ضئيل منها ، وما يؤكد ذلك أنه ذكر في بيت واحد استفهامين اعتمد فيه على (من) وجعل مخاطبه مذكرًا يقصد به (الحبيب) فقال:(من أنت)يريد التعجب من الحبيب، ثم قال:(من أي العوالم...إلخ) فالتصوير واضح ، والخيال ظاهر؛ لأن الاستفهام ليس على حقيقته ، أيعقل أن يجهل ناجي العالم الذي أتى منه حبيبه؟! لكنه قصد بالاستفهام التهويل والتعظيم لما رآه من سحره الذي أداه بلفظة(ساحر) والتي فيها تشبيه محبوبه بالساحر الذي يجذب الألباب ويستأثر بها، والتعبير بقوله:(مستأثر...إلخ) مبالغة من الشاعر مقبولة ، فلرب جمال ينبه العقول ، ويثير القلوب، وإسناد الأعنة إلى الألباب مجاز عقلي ؛ لأن العقول لها مفاتيح ومغاليق ، وجمع استفهامين في بيت واحد لغرضين بلاغيين متباينين يحسب له، وقوله:(حدثت نفسي إذ...إلخ) يدل على أن الشاعر في حوار بينه وبين نفسه ، وتتجلى حيرته في قوله:(وأطلت تسآلي...إلخ) وتظهر قمة مشاعر ناجي وأحاسيسه المرهفة حين يجعل من امرأته ملاكًا طهورًا، ويستفهم منها عن حياتها في هذا العالم حين يقول:(ما يصنع الملك...إلخ) وأجمل ما في البيت هو التشبيه ، حيث جاء بصورة هذه الدنيا الفانية ، وشبهها بلمع السراب الذي لا يستقر على حال، ووجه الشبه هو تحقق الفناء والانقطاع في كل، وهذا التشبيه(كلمع سراب) أصيل في الثقافة العربية لورده في القرآن الكريم، حيث قال ربنا :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ

ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] ، ويبدع ناجي مرة أخرى حين يكرر الأسلوب نفسه لأداة الاستفهام (ما) حين يقول:(ما يصنع ...إلخ) وأظنه في هذا البيت قد رافقته نفسه التي يعلوها الحيرة والاضطراب ؛ لأنه جعل امرأته من عالم الأبرار الذين يحيون بالأرض، ويتعجب من خلال استفهامه عن وجودها بين أخلاط الناس وأوشابهم ، ويتجلى الأثر البلاغي للاستفهام في تلك الأبيات من ناحيتين الأولى: الاعتماد الكلي على التصوير والخيال دون الخروج عن المعنى المقصود ، مع بساطة التركيب، وسهولة الأسلوب، وعذوبة المعنى، وأما الناحية الأخرى: فلا شك أن ناجي قد أظهر من خلال أبياته مدى شعوره بالضيق من هذا العالم، ولربما انتابه يأس ممن كان يعرفهم، وهذا يبين مدى العلاقة بين الاستفهام والانفعال النفسي لدى الشاعر، ولا ريب أن الاستفهام بـ(ما) وتركيبه قد جليًا هذا الأمر عنده.

النموذج الثاني:

ومما يحسب لشاعرنا أنه يتعامل مع أسلوب الاستفهام كعنصر رئيس في الترويح عن حالته النفسية وانفعالاته، وإحساسه تجاه محبوبته ، حيث يشتمل هذا النموذج على أسلوب خرج من معناه إلى معنى التعجب المشوب بالحزن والأسى ، فهو عندما يتعجب بـ(ما) ويستغرب بها يأتي بالجواب لنفسه، كمثل قوله: [الكامل]

لَم تُرو مِنكِ نَوَاظِرِي وَخَوَاطِـرِي وَرَجَعت أزكَى مُهجَةً وَشَفَـاهَا!

مَدَّ الخَرِيفُ عَلَى الرِّيَاضِ رِوَاقَهُ وَمَضَى الرَّبِيعُ الطَّلْقُ مَا يَغشَاهَا

([1]) سورة النور الآية (رقم :٣٦).

مَا بِالرِّيَاضِ؟!كَآبَةٌ فِي أَرضِهَا وَسَحَابَةٌ تَغشَى أَدِيمَ سَمَاهَا!

جَمدَت حَمَائِمُ أَيكِهَا وَأَنَا الَّذِي شَاكَيتُهَا فَاغرَورَقَت عَينَاهَا![1]

فقوله:(ما بالرياض) تعجب واستغراب، لكنه أبدى أسباب تعجبه حين قال:(كآبة في أرضها...إلخ) والأبيات من قصيدة بدأ بها الشاعر متفائلًا مؤملًا لقادم أيامه مبتدأ بقوله:

عَادَت لِطَائِرِهَا الَّذِي غَنَّاهَا وَشَدَا فَهَاجَا حَنِينَهَا وَشَجَاهَا

أيُّ الحُظُوظِ أعَادَهَا لِوَفِيّها وَنُجيّ وَحدَتَهَا وإِلفِ صِبَاهَا[2]

ويبدو أن ناجي قد التقى بحبيبته بعد غيابها، لكنها لم تطل بقاءها معه، فعاتبها بقوله:(لم ترو...إلخ) وهو ما جعل لهيب مشاعره يزداد ، ورجع وقد غمرته آمال عريضة، وقد أبدى ذلك بالجملة الفعلية في قوله(ورجعت أزكى...إلخ) وقد أخلص ناجي إخلاصًا شديدًا في محاولته تصوير ما صار بالرياض بعد أن رحلت عنه امرأته، فانظر إلى قوله:(مد الخريف...إلخ) فأي رقة هذه، وكان يمكن أن يستبدل الخريف بلفظة أخرى ، إلا أنه راعى المناسبة في رقة الألفاظ التي تناسب الرياض، وهو ما جعله يناسب بين: الربيع، والخريف في بيت واحد، والتعبير فيه تصوير بديع احتوى على تشبيه الخريف بمبنى له ظلة يحمي ما تحته، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بلفظة(رواقه) على سبيل الاستعارة المكنية، ويؤازر تلك الاستعارة استعارة أخرى في البيت نفسه، والذي صور فيه مشاعر الربيع بإنسان يمضي ويتلفت حوله، ورمز إلى المشبه به بالفعل

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٥٧، ٥٨).

([2]) ديوان إبراهيم ناجي (٥٨).

(مضى)على سبيل الاستعارة المكنية، وتناسي التشبيه هنا يزيد التصوير تخييلًا، كما أن توالي الاستعارات مع الحاجة إليها يوضح المعنى ويؤكده ، ويربطهما برباط واحد (ويجعل بعضها بسبب من بعض)[1] ، وهو ما يحسب للشاعر(لأن جمال الأسلوب عند أي شاعر يتوقف على قدر تلاحم أجزائه وتشابك عناصره، وعلى اشتماله على الخيال والعاطفة، وما في الصورة التي تجمعهما من صياغة بها اتصال وارتباط ، وبهذا يتألف التركيب الجيد)[2]، وقوله:(كآبة في أرضها...إلخ) يقصد به الرياض، وإنما تحول الرياض إلى كآبة لمجرد رحيل محبوبه عنه، والتعبير يفيد تحول الأمل عند الشاعر إلى يأس وإحباط، مما يؤثر ذلك على انفعالاته النفسية، وقوله:(وسحابة تغشى...إلخ) كناية عن فقد الأهل ، وأكد ناجي ذلك حين قال:(جمدت حمائم...إلخ) وهو تعبير يكنى به عن يأسه؛ لأنه حين قال : (شاكيتها...إلخ)، أي: الحمائم ، وفيه تشخيص لها على عادة القدماء في الشكوى إلى الحمائم، ومنه: قول أبي فراس في قصيدته: [الطويل]

أَقُولُ وَقَد نَاحَت بِقُربِي حَمَامَـةُ أَيَا جَارَتَا هَل بَاتَ حَالُك حَالِي؟

أَيَا جَارَتَا مَا أَنصَفَ الدّهرُ بَينَنَا تَعَالِي أُقَاسِمكِ الهُمومَ تَعَالِي[3]

---

(1) دلائل الإعجاز- لعبدالقاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ (٣٩٢) تحقيق: محمود شاكر- مطبعة المدني-ط٣-١٤١٣هـ.

(2) الصور البيانية في شعر خليل مردم دراسة بلاغية-د/ أيمن محمد(١٥٥- بتصرف قليل) رسالة ماجستير – لغة عربية المنصورة-٢٠١١م.

(3) ديوان أبي فراس الحمداني(٤٩) فهو يخاطب الحمامة بقوله لها: كيف تكونين محزونة القلب، وأنت علي غصن طويل عال؟

فهو يشكو إلى الحمامة ما يجد من ألم الفراق الذي هاج عنده من نوحها، ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا: إن الاستفهام بـ(ما) في تلك الأبيات لخص وأوجز إحساس ناجي بما حوله بعد أن غادرت امرأته ، ومن هنا تتجلى بلاغته.

النموذج الثالث:

ويصل ناجي إلى قمة غزله حين يستعمل كل أدواته اللغوية والتصويرية في الاعتماد على أكثر من استفهام خرج من معناه إلى معنى بلاغي آخر – هو التهويل والتعظيم– يتماشى مع الحالة النفسية التي يمر بها، فالأساليب الاستفهامية ، والصور التشبيهية التي آثارها الشاعر بني عليها أبياته ، فحين تتأمل قوله:

[المتقارب]

لِمَن هَاتِه الفِتنَةُ النَـــادِرَه! وَمَا هَاتِه الأعيُنُ السَّاحِـــرَهْ؟

وَمَا ذَاكَ المَرَحُ القُدســـيُّ؟ وَمَا هَاتِهِ الضّحكَةُ الطَّاهِـرَهْ؟

تَطُوفُ مَطَافَ الحَنَانِ العَمِيمِ وَتَسقُطُ كَالنِّعمَةِ الوَافِـــرَهْ

وَتَمتَدُّ مِثلَ امتِدَادِ العُبَـــابِ وَتَرجِعُ كَالمَوجَةِ السَّاخِـــرَهْ

وَتَنقُشُ أصدَاءَهَا فِي القُلُوبِ وَتَبقَى مَدَى العُمرِ فِي الذَّاكِرَهْ[1]

نستشعر من خلال الأبيات حماسة الشاعر وتفاؤله الظاهر مما يثير شغف المتلقي نحوها ، لبساطة أسلوبها ،ولرقة ألفاظها، وسهولة قافيتها، والهاء؛ إذا ختمت بها قافية ، فهي تدل على تفريغ شحنة نفسية يعتريها

(1) ديوان إبراهيم ناجي (٨٨).

أمل أو يأس، لكن الأمل هنا ظاهر، ويتراقص ناجي بتعبيراته ليدلل على تفاؤله الشديد ، وفرحه الظاهر، وهو لا يحتاج في استفهاماته إلى أجوبة سوى أنه يمر بلحظات سعيدة خلال أيامه، فقد جعل من امرأته نادرة الفتنة بقوله:(لمن هاته الفتنة النادرة) وجعل أعينها آخذة بالعقول في قوله:(وما هاته الأعين الساحرة) وقد قصد بالاستفهامين التهويل والتعظيم ، وأجمل من ذلك حين نراه يخلع على تراقص امرأته ومرحها قدسية خاصة تجعل المتلقي يستعذب ويستسيغ هذا المرح؛ وذلك حين يقول:(وما ذلك المرح...إلخ) ويكرر ألفاظ العفة والنقاء وينسبها إلى ما يتعلق بمحبوبته ، حين يجعل ضحكتها طاهرة في قوله:(وما هاته الضحكة الطاهرة) ويخرج الاستفهامان من معناهما الحقيقي إلى معنى التهويل والتعظيم، وكما عودنا ناجي فإنه يبرر على الدوام أسباب معانيه ومشاعره، حيث ذكر هنا أن حركة امرأته تشبه الطواف في قوله:(تطوف مطاف الحنان العميم)،وقوله: (تسقط كالنعمة...إلخ) تشبيه لامرأته بالنعمة، وقد نوَّع في أداة التشبيه بين(الكاف، ومثل) في قوله:(وتمتد مثل امتداد...إلخ) وكذلك نوَّع في المشبه به، فهو تارة يذكر النعمة الوافرة، وتارة يلجأ إلى التشبيه بالعباب، أو يشبه بالموجة الساحرة، فهو ينوع بين أدواته ؛ لأنه كما ذكرنا في لحظات يغمرها الأمل والسعادة، ويختم تلك الأبيات باستعارة رائعة حين يجعل من الأصداء شيئًا ينقش في القلوب تتزين به على سبيل الاستعارة المكنية، فالأصداء لا تنقش وإنما تسمع، ويتجلى الأثر البلاغي للاستفهام في الجمع بين أكثر من ثلاثة أساليب استفهامية في بيتين متتاليين يجمعهما التناسب بين الألفاظ والتواؤم بين العبارات، كمثل الجمع بين: (النادرة والساحرة، والمرح والضحكة، والقداسة والطهارة، والعباب والموج) كما يتجلى في أن الاستفهام جاء مسببًا عبر التصويرات التشبيهية التالية

له.

النموذج الرابع:

وفي موضع من مواضع الجمال التي يستعين فيها ناجي (بما) في أسلوب الاستفهام ، ما ورد في قصيدة له استهلها بقوله:

هَا أنَا قَد عُدتُ إِلَى حَيثُ التَقَينَا فِي مَكَانٍ رَفرَفَت فِيهِ السَّعَادَهْ[1]

يلي هذا الاستهلال أربعة أساليب استفهامية في أبيات متتالية خرجت إلى معان بلاغية هي التعجب والحيرة ، والتهويل والتعظيم،؛ ليستفهم عن أنواع جمال متباينة ومتفاوتة ما بين جمال في خصلة، أو آخر في مجلس، أو ثالث في أثر أو كرسي، تجلس عليه حبيبته حين يقول: [الرمل]

مَا الَّذِي فِي خُصلَةٍ رَاقِدَةٍ مَا الَّذِي فِي خَطِّهِ أو كُتُبِهْ؟

مَا الَّذِي فِي أثَرٍ خَلَّفَــهُ مِن أفَانِينِ الهَوَى أو عَجَبِهْ

مَا الَّذِي فِي مَجلِسٍ يَألَفُهُ عَقَدَ الحُبّ عَلَيهِ مَــوعِدَهْ

رُبَّمَا يَبكِي أسًى كُرسِيُّــه إِن نَأى عَنهُ وَتَبكِي المَائِدَهْ[2]

ففي البيت الأول يأتي الاسم الموصول ملاصقًا لأداة الاستفهام (ما) في شطرين متتاليين ؛ ليفيض بمعنى التهويل والتعظيم ، وإنما وصف الخصلة بأنها راقدة؛ ليتوهم السامع بالغ أثرها إذا تحركت، ويتكرر أسلوب الاستفهام نفسه في البيت الثاني لبيان التهويل ، وشدة التفخيم إنما هو

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٣٨).

([2]) السابق (٢٣٩).

نتيجة الأثر الذي تخلفه حبيبته من مكان تتحرك منه أو تقف عليه، وقد جعل للهوى أفانين ؛ ليجلب الاستعارة جلبًا ، فمن أين جاء للهوى فنن؟ إلا عن طريق الخيال والتصوير ، وإسناد الأفانين إلى الهوى يشير إلى حالة نفسية هادئة وساكنة عند الشاعر، بل وفرحة في أكثر الأحيان ، ولعله أراد بقوله في البيت الثاني:(ما الذي في أثر...إلخ) الكناية عن طيب الرائحة أو الذكرى الطيبة، والكنايتان جائزتان لأن المعنى يتطلبهما ، ويأتي الاستفهام الثالث للغرض البلاغي نفسه بقوله:(ما الذي في مجلس...إلخ) ليجد السامع تناسقًا وتواؤمًا بين فعلي(خلفه ويألفه) وقوله:(عقد الحب) فقد شخص الحب بعقد بين الشاعر ومحبوبته موعدًا على سبيل الاستعارة المكنية، وأرى أن البيت الرابع قد أوجز مراد الشاعر في الاستفهامات قبله ، حين جعل من الكرسي إنسان يبكي ويفرح على سبيل الاستعارة المكنية، وفي البيت نفسه جعل المائدة مصاحبة للكرسي في البكاء على سبيل الاستعارة المكنية، وهي مبالغة من الشاعر تصل إلى درجة الغلو؛ لأنها غير مقبولة عقلًا وعادة، ولا نبالغ إن قلنا: إن الأثر البلاغي للاستفهام في الأبيات يتضح في تنوع الشاعر في اختيار المستفهم عنه لغرض التهويل والتفخيم ، فقد تنوعت بين(الخصلة الراقدة، والأثر المتخلف من أفانين الهوى من جانب، وبين المجلس الذي تستكين به حبيبته من جانب آخر، وتعدد الاستفهام في حد ذاته متتاليًا دون تفرقة له معنى بلاغي جلي يتلخص في حيرة الشاعر وتعجبه المتكرر من هذا الجمال الذي لم يترك شيئًا من علامات الرقة والأنوثة ، إلا واختزل فيه، وهذا ما دعا الشاعر إلى أن يقول:(ما الذي، ما الذي، ما الذي).

النموذج الخامس:

وما يؤكد هذا التعجب الذي تكتنفه الحيرة ،تكراره لأسلوب الاستفهام في أربعة أبيات متتالية حين يقول:

[الرمل]

مَا الَّذِي مَكَّنَ فِي القَلبِ الوُدَادْ مَا الَّذِي صَبَّكَ صَبا فِي الفُؤَادْ؟

مَا الَّذِي مَلَّكَ عَينَيكَ القِيَـــادْ مَا الَّذِي يَعصِفُ عَصفًا بِالرَّشَادْ؟

مَا الَّذِي إِن أُقصِهِ عَنِّي عَـادْ طَاغِيًا سِيَّانَ قُربُ أو بُعَـــادْ؟

مَا الَّذِي يَخلقُنَا مِن عَـــدَمْ مَا الَّذِي يُجرِي حَياةً فِي جَمَادْ؟[1]

فإن ناجي هنا بالرغم من اعتماده على نفس الأسلوب السابق المصحوب بالاسم الموصول(الذي) إلا أنه توجه به إلى محبوبته مباشرة بخلاف الأبيات السابقة الذي كان فيها يستفهم من نفسه حتى تجيب عليه ، فهو في البيت الأول يتعجب من تمكن الحب في قلبه ، وكيف رسخت تلك المرأة حبها وصبته صبا في فؤاده؟! وفي البيت الثاني يخاطبها معاتبًا لها حين جعلت عيناه منقادة إليها انقيادا ، حتى كأن لم يكن به عقل أو رشاد، وقد اعتمد كما عودنا على التصوير، حتى يشاركه السامع معانيه التي أرادها، فأول ما يقابلنا قوله:(ما الذي صبك...إلخ) والحب لا يصب ؛ لأنه شعور محسوس ليس بملموس، إلا أن ناجي شبهه بالماء الذي يصب صبا من أعلى لإرادة التمكن والرسوخ على سبيل الاستعارة المكنية ، وقوله: (ما الذي يعصف...إلخ) تشبيه آخر لهذا الحب بالريح العاصفة

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٤١).

على سبيل المكنية، وأما البيت الثالث ، فأراه على عظم معناه وجلالة مغزاه، إلا أنه قليل الجهد والعناء عند ناجي من ناحية الأسلوب والتركيب، والدليل على ذلك أنه حين يقول:(ما الذي إن أقصه...إلخ) كان باستطاعته الاستعانة بلفظة تدل على التعارك بينه وبين حبه ، والأخذ والرد بينهما بلفظة أخرى غير لفظة الإقصاء، وكأننا نقرأ كلامًا نثريًا أبعد عن الشعر ، خاصةً حين يستعين بالفعل الماضي(عاد) فلا تصوير في التعبير، ولا جاذب للمتلقي حتى يكمل البيت، ومع أن التصوير قد خلا –أيضا –من بداية الأبيات حين قال: (ما الذي مكن في القلب...إلخ) إلا أننا نجد روحًا شعرية أفضل يمكن للسامع أن يستمتع فيها بسهولة التعبير، وبساطة الفكرة، بينما هنا نفتقد الاثنين معًا، والأدهى أن قوله أيضا:(طاغيا سيان...إلخ) أقرب إلى شاعر مبتدئ منه إلى شاعر مثل ناجي، ومع أن الطباق بين لفظتي(قرب أو بعاد) قد أكسب المعنى تأكيدًا وقوة ، إلا أنه لا يغني عن ضعف البيت وفكرته، وكان يمكن له الاستعانة بأسلوب أفضل وتعبير أبلغ، فأما قوله في البيت الأخير:(ما الذي يخلقنا...إلخ) فإنما يقصد به هذا الهوى الذي تملكه والذي عاناه بقوله:(ما الذي ملك...إلخ) ومع أن الاستفهام قد تكرر في أربعة أبيات متتالية ، إلا أن المعنى البلاغي لهم جميعًا هو التعجب من قدر هذا الحب الذي تمكن في القلب، وملك العينين واقتربا رغم إقصائه وطغيانه في القرب والبعد، والمبالغة واضحة في البيت الأخير ؛لأن الشاعر جعل من نفسه ميتًا ، وعدمًا قبل حبه ، وجمادًا قبل هواه.

النموذج السادس :

ومن رباعيات ناجي تأتي عاطفته التي تفيض بألفاظ تكسوها الرقة والعذوبة ، فيكرر فيها الاستفهام بـ(ما) مرتين في بيتين متتاليين؛ ليؤكد معنى التعجب والاستنكار، الذي استولى على نفسية الشاعر ، حين يقول:

[السريع]

أنتَ كَرِيمُ الوُدّ حُلوُ الوَفَاءْ فَمَا الَّذِي عَاقَكَ هَذَا المَسَاءْ؟

وَمَا الَّذِي أخَّرَ هَذَا اللِّقَاءْ وَحَرَّمَ النَّبعُ وَصَدَّ الظِمَاءْ؟[1]

هنا يفتتح ناجي أبياته قبل الاستفهام بأسلوب خبري يفيد الثبوت والاستمرار بقوله:(أنت كريم الود...إلخ) ، وتكرار الخبر (كريم الود، حلو الوفاء) يدل على تعدد السمات الجميلة التي تتمتع بها امرأته، والاستفهام في قوله:(فما الذي عاقك) يفيد التعجب والاستنكار، وكأنه قد أمّل في لقائها في موعد خالفته وأخرته إلى موعد آخر، وهذا ما قصده في البيت الثاني بقوله:(الظماء) وإنما حذفت أداة الاستفهام للعلم بها ، والكناية واضحة في قوله:(حرم النبع) وهي كناية عن صفة انقطاع الوصل وانفصال الموعد، وإنما جاءت الكناية هنا بالاعتماد على تصوير الوصل بنبع المياه، وكأن امرأته لما امتنعت بوصالها، فقد امتنع هو عن الماء، وكذلك فعل في قوله:(صد الظماء) وهي كناية أخرى عن انقطاع الوصل، لكنها بصورة متباينة عن سابقتها؛ لأن الشاعر جعل من نفسه ظمآنًا وبيدها ما تروي ظمأه ، لكنها صدته ومنعت الماء عنه، وجملة الاستفهام في البيت الثاني خرجت من معناها الحقيقي إلى غرض بلاغي وهو التعجب والاستنكار،

([1]) السابق (٣٠٤).

والأثر البلاغي يظهر من خلال الاستعانة بالتصوير ،الذي كانت الكناية أبرزها وأوضحها، ويتشابه هذا الاستفهام مع الاستفهام قبله في وضوح الحالة النفسية للشاعر ، فيبدو بديلًا عن الوصل هناك القطيعة هنا وخاصة بلفظتي(حرم، صد) وكذلك يبدو بديلًا عن الأمل هناك والرجاء انقطاعهما هنا، والدليل الفعل(عاق)، فالاضطراب واضح وأوضح منه القلق وذهاب الأمل.

المطلب الثاني: حذف ألف (ما) الاستفهامية عند دخول حرف الجر عليها(لم):

لـ(ما) الاستفهامية استقلال واستبداد بنفسها ، فإذا دخل عليها حرف الجر(لم ، بم، عمّ) حصل بانضمام ما جرت به من حرف جر أو اسم ثقل، فناسب التخفيف بحذف الألف منها، والحذف متعين، وقد تدخل عليها هاء السكت في الوقف فقال: كيمه، وإنما لم يكن الحذف من الشرطية ولا الموصولة؛ لأنهما لا استقلال لهما ، فالموصولة تفتقر في تمام معناها إلى الصلة، والشرطية تتعلق بما بعدها، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1]،﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾[2] ،﴿ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[3][4].

وعودة إلى الأسئلة الحائرة في رومانسيات ناجى مستخدمًا أداة الاستفهام (لم) المكونة من (اللام) و(ما) الاستفهاميتين الدالتين معًا على حيرته واضطرابه .

([1]) سورة النبأ الآية (رقم:١).

([2]) بعض آية من سورة الصف(رقم :٥).

([3]) بعض آية من سورة النمل(رقم :٣٥).

([4]) ينظر: شرح المفصل للزمخشري- تأليف : يعيش بن علي ت ٦٤٣هـ(٤/٢٢٩)تقديم:د/ إميل بديع يعقوب-دار الكتب العلمية-بيروت-ط١- ١٤٢٢هـ،،٢٠٠١م، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد-لمحمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش تـ٧٧٨هـ(١٠/٥٢١١، وما بعدها) دراسة وتحقيق:أ.د/ علي فاخر وآخرون-دار السلام للطباعة-ط١-١٤٢٨هـ.

النموذج الأول:

ومن روائع ناجي في تصوير حيرته واضطرابه، والتعبير عن حال البؤس التي سيطرت على لقائه بدار الأحلام والحب بسبب تغيرها ، فقد كانت في الماضي سعادة ونشوة، وأصبحت في الحاضر ، وقد تبدل حالها ولقاؤها إلى بؤس، وذكريات الماضي السعيد عالقة في عقله وقلبه، فاندفع عن طريق الاستفهام الذي خرج إلى معنى التقرير والعتاب ، والذي استخدمه ناجي للمقارنة بين الحالين، وتصوير انفعاله ومشاعره في صورة حية مؤثرة تتضح في ثنايا التحليل ، حين يقول: [الرمل]

دَار أحلَامِي وَحُبِّي لَقِيتَنَـــا فِي جُمُودٍ مِثلَمَا تَلقَى الجَدِيدْ

أنكَرَتنَا وَهيَ كَانَت إِن رَأَتْنَـــا يَضحَكِ النّورُ إِلينَا مِن بَعِيدْ

رَفرَفَ القَلبُ بِجَنبِي كَالذَّبِيـــحْ وَأَنَا أهتِف: يَا قَلب اتَّئِـــدْ

فَيجِيبُ الدَّمعُ وَالمَاضِي الجَرِيحْ لِمَ عُدنا؟ لَيتَ أنّا لَم نَعُـــدْ

لِمَ عُدنَا؟ أوَ لَم نَطوِ الغَـــرَامْ وَفَرغْنَا مِن حَنِينٍ وَأَلَـــمْ

ورَضِينَا بِسكُـــونٍ وَسَلَام وَانتَهَينَا لِفَرَاغٍ كَالعَـــدَمْ؟!(١)

ثم يخاطب نفسه بقوله:(دار أحلامي...) وفي الجملة إيجاز بالحذف والتقدير : هذه دار أحلامي، وفيه تشخيص للأحلام والحب، وقوله:(لقيتنا في جمود مثلما) تشبيه تمثيلي يصور هذا البرود، وهذا اللقاء البائس بعد أن كانت حياة وسعادة، وقوله:(وأنكرتنا) تشخيص للدار يوحي بمدى التغير المقيت،وقوله: (وهي كانت إن رأتنا...) تشخيص للنور وإيحاء بالحياة

(١) ديوان إبراهيم ناجي (٣٤).

والنعيم ، وبين شطري البيت مقابلة تبرز مدى الاختلاف الذي حدث بين ماض سعيد وحاضر بائس، ثم ينتقل إلى وصف حاله من أثر هذا اللقاء بقوله:(رفرف القلب...)وهذا تشبيه رائع لهذا الأثر الشديد الذي أصابه من جراء اللقاء، (وأنا أهتف يا قلب) وهاهنا تجريد للقلب ، فقد جعله شخصًا آخر يخاطبه ويرجوه أن يتمهل، فهو في حوار بينه وبين قلبه ودموعه وماضيه، والنداء في (ياقلب) غرضه الإشفاق ، وكذا الأمر في قوله:(اتئد) ثم يستمر الحوار، فها هو الدمع والماضي الجريح يتساءلان ويعاتبان(لم عدنا) فهو استفهام للعتاب يوحي بالصدق والحزن الشديد ، ثم يتمنيان عدم العودة ومشاهدة ذلك المشهد، ثم يكرر الاستفهام لاستيعاب هذه العاطفة الجياشة المستقرة في النفس الناتجة عن صدق اللقاء، والمقارنة بين ماض وحاضر(لم عدنا أو لم نطوي الغرام) استفهام الغرض منه التقرير ، وفي قوله:(نطوي الغرام)تجسيم له إيحاء بانتهاء هذه الرحلة التي ما زالت جاثمة في القلب ، وإن ظن أنه قد (فرغنا من حنين وألم)، وفي الختام نستشعر علاقة الاستفهام بالانفعال النفسي المسيطر على الشاعر، فهو ينفس من خلال الاستفهام عما احتشد في قلبه من مشاعر الأسى والحسرة لما بدا عليه من آثار الدهر ، وعلى دار الأحبة التي عبست وتجهمت في وجهه ، وبدا كل مظهر من مظاهر الحياة فيها، وقد سكن سكون الموت؛ ولذا تكرر الاستفهام في الأبيات ، ثم دخل من ذلك إلى تجريد أشخاص من نفسه يحاورهم ويسائلهم مثل(:الدموع ، القلب، الماضي)، وهذا كله يبرز الأثر البلاغي للاستفهام.

النموذج الثاني:

ومن أجمل ما تعرض له ناجي في بيان تعجبه الشديد واستغرابه الواضح، وصف امرأته بصفة الهجر، وإلصاق التهمة بها مستعملًا أداة الاستفهام (لم) ، وكأنه يتعجب ويعاتب في وقت واحد ، ومما قاله في ذلك: [الرمل]

لِمَ يَا هَاجِرُ أصبَحتُ رَحِيمَا ... وَالحَنَانُ الجَمُّ وَالرِّقَّةُ فِيمَـــا؟!

لِمَ تَسقِينِيَ مِن شَهدِ الرِّضَا ... وَتُلَاقِينِي عَطُوفًا وَكَرِيمَـــا؟

كُلُّ شَيءٍ صَارَ مُرًا فِي فَمِي ... بَعدَمَا أصبَحتُ بِالدُّنيَا عَلِيمَا

آهٍ مَن يَأخُذُ عُمرِي كُلَّـــهُ ... وَيُعِيدُ الطِّفلَ وَالجَهلَ القَدِيمَا! (١)

فقد بنى ناجي معانيه وغرضه من الاستفهام التعجبي الذي آثر فيه أداة الاستفهام(لم) ، وقد قرن هنا بين النداء ، وأسلوب الاستفهام في البيت الأول، مطلقا على امرأته وصف الهجر(يا هاجر)حتى صارت علمًا عليها؛ ليجعل من تعجبه أشد تأثيرًا وأقوى تأكيدًا، ويقابل هذا المعنى بلفظتي(رحيما، والرقة) وكأنه يقول لنفسه :هل يمكن أن يغدو الهاجر رحيمًا رقيقًا بين ليلة وضحاها؟ ومن هنا وجد المتلقي نفسه مجبرا على استخراج معنى التعجب الذي يحتوى بداخله معاني العتاب والاستعطاف في الوقت ذاته، وهي معان كلها نفسية تظهر ما يحتويه قلب شاعرنا نحو امرأته ، ولو وجد منها وصلًا ما استفهم بأداة الاستفهام(لم) والدليل على ذلك:أنه لا يريد جوابًا على سؤاله، وأما قوله:(والحنان الجم...) فقد أخر

(١) ديوان إبراهيم ناجي (٣٤).

فيه أداة الاستفهام (فيما) والمعنى:في أي شيء كان حنانك الجم ورقتك؟! وبه- أيضا- إظهار لمدى تعجب الشاعر الشديد، وتكرار الاستفهاميين في بيت واحد لغرض واحد يوضح أن الشاعر كان قد وجد من امرأته ما ينافي رحمتها وحنانها ورقتها، وقد كرر شاعرنا أسلوب الاستفهام بأداته(لم) للمعنى البلاغي نفسه والذي أخرجه من معناه الحقيقي إلى المعنى الرئيس الذي قصده هو، وهو حين يقول(لم تسقيني من شهد الرضا) فإنما أراد بهذا التعبير الكناية عن لوعته وما بينهما من وصل ، وقد بنيت الكناية على تشبيه الوصال بالشهد ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به (الشهد)على سبيل الاستعارة التصريحية، وأضاف الشهد إلى الرضا ليثبت بأن ما يعيشه في حال الوصل قد بلغ به مبلغًا عظيمًا من الراحة والسكينة، والذي ساند الاستفهام في النهوض بالمعنى وفيًا واضحًا دون خلل، هو تأكيد ناجي وصفه امرأته حين لقائها بأنها كانت عطوفة كريمة، وليست فظة بخيلة، مما يشير إلى أن الألفاظ تخدم بعضها بعضًا من حيث المعنى، فإذا وصف ناجي أيامه قبل اللقاء بأنها كانت صعبة عليه ، قاسية على حياته، لجأ إلى التعبير البلاغي الذي يعينه على تأدية ما تجول به عواطفه ، ووصف تلك الأيام بأنها شبيهة بالطعام المر الذي لا يستسيغه ولا يحلو له ؛ ليشعر السامع بأنه مشارك لا محالة في عواطفه منفعلًا معها متأثرًا بها، خبيرًا بحالها، وقد لخص وأوجز تلك الخبرة بقوله:(بعدما أصبحت بالدنيا عليمًا) ويختم أبياته بتوجع يوحي من خلاله إلى القارئ بأنه عاش فترة مظلمة من حياته يتمنى فيها أن تعود أيام صباه الذي كان فيها (ويعيد الطفل...إلخ) وهو يعني بالطفل براءة الشباب، وفطرة الصبا التي لم يصبها لوث العصر، وسوء الأيام، وقصد بالجهل براءة العقل، ونزاهة الفكر قبل الانشغال ، وكثرة أعباء الحياة، وأما

الاستفهام ، فقد أدى معنى بلاغيًا واضحًا، وهو التعجب الحائر من الوصل بعد القطع، ومن الرحمة بعد الشدة، ومن الحنان بعد القسوة، ومن الرضا بعد الغضب، ومن العطف والكرم بعد الشح والجفاء، وكلها معان حذفها الشاعر؛ ليصل بمراده إلى ما أراد، وجعلنا نشاركه آلامه من الدنيا، وخشيته من تقلباتها.

النموذج الثالث:

ومن أجمل ما استعان به ناجي في دلالة التعجب والاستغراب أن يأتي بأسلوب الاستفهام خاتمًا به الأبيات، ومنهيًا به المعاني بالرغم من أن الأبيات والمعاني تعتمد عليه من البيت الأول، وكان ذلك واضحًا حين قال:

[مجزوء الكامل]

يَا زَائِرًا عَجلَانَ لَـــمْ ... يَطِلِ اللِّقَاءُ وَلَمْ يَقُـــمْ

وَدَّعتَ مَا أشبَعتَ لِـــي ... رُوحِي وَلَا نَظرِي النَّهِمْ

وَمَضيتَ عَن دُنيَا خَلَت ... وَجَرَت بِنَعمَى لَم تَتِـــمْ

لَم يَبقَ مِن أثرِ اللِّقَـــا ... ءِ بِهَا سِوَى عَبَقٍ يَنَـمْ

وَسُؤَالُ دَمعُك حِينَ يَسـ ... ـــأَلُنِي وَمَن لِي بِالكَلِـمْ

لِمَ يَا أَلِيفَ خَـــوَاطِرِي ... غَفَتِ العُيُونُ وَنَحنُ لَمْ؟!(١)

فالتصريح بمعنى الاستفهام، أو ما يدور حول معانيه واضح من البيت الأول، حين ينادي محبوبته بقوله:(يا زائرًا) ويصفها بالعجلة والاستعجال الدائم ، وكأنها صفة ملازمة لها، حتى ضيعت منه ما يشبع نهمه من هذا

(١) ديوان إبراهيم ناجي (٤٧).

اللقاء، ويبدو ناجي من خلال استفهامه قلقًا متحيرًا من تصرف امرأته ، والتعبير بلفظة (زائرًا) يدلل على ذلك ، فهو لم يعبر عن زيارة طيف محبوبته ، بل هو يقصدها نفسها ، وهو ما يعني أنها ضيفة مؤقتة لا تأتيه على الدوام، وقد لجأ الشاعر إلى تصوير ما دار بينه وبين امرأته في هذا اللقاء القصير بأنه شبيه بالطعام في قوله:(ودعت ما أشبعت...) على سبيل المكنية، ولعله أراد من التعبير الكناية عن قصر اللقاء، وأكد ذلك المعنى بقوله:(ومضيت عن دنيا...) ولجأ إلى الكناية مرة أخرى حين صور ما بقي من كلام بينهما بأنه يشبه العبق والرائحة الزكية التي يظل أثرها باق بعد فواتها بفترة بقوله:(لم يبق من أثر...) والمعنى المكنى عنه هو حلاوة اللقاء ، وجمال الوصل ، ويبدو أن ناجي قد اتكأ كليًا في أغلب تصويره على الاستعارة المكنية، حيث يصور دمع محبوبته بأنها تشبه الإنسان الذي يكثر في السؤال بقوله:(وسؤال دمعك...)؛ لأنه رأي في تلك الاستعارة ما يخدم مراده، وحينما يختم الأبيات بالاستفهام التعجبي يختمها برسالة يفهمها القارئ حين يستفهم من نفسه، ويسألها مناديا على محبوبته(لم يا أليف....) وهي بالطبع ليست معه؛ لأنه وصفها في البداية بأنها عجلة، لكنه يحدث نفسه متعجبا منها، كيف راق لعيونه أن تنام ، وروحه لم تنم، وقد حذف المستفهم عنه في الاستفهام الثاني في قوله:(ونحن لم) للعلم به ، والتقدير أن يقول :ونحن لم نغف ، وبلاغة الاستفهام هنا تتضح من خلال بناء الأبيات عليه واعتمادها على معناه، وكأنه يقول ملخصًا ما بينه وبين امرأته في اللقاء العاجل أن أثرها لم يزل في قلبه، ولم يبرح مكانه، حتى أنها لما تركته ظلت روحه متعلقة بها ، حتى ولو هدأ جسمه ، وغفت عيونه، والاستفهام الختامي قد اختار له ناجي أداته (لمَ)؛ لأنه كما قلنا في الاستفهام الأول لا يشعر براحة

نفسية ، بل هو قلق النفس حيران الفكر ، وعند تشريح الأبيات تشريحا نفسيا يتكشف لنا معانيها الرومانسية التي تتخللها هواجس نفسية في أعماق الشاعر ، ويبدو أن الاستفهام أوجز تلك الهواجس في أسلوبه واختيار أدواته.

النموذج الرابع:

في هذا النموذج استطاع ناجي من خلال الاستفهام الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى العتاب، وإلقاء اللوم ، فهو يسارع في الفوز بلقاء يشفي روحه، ووصل يطول به في كثير من شعره الذي ذكرناه، ويكرره- أيضا- حين يصف ما بينه وبين محبوبته بالطريق الطويل، والمسرى البعيد الذي يعجز عنه، ويضعف أمامه حين يقول: [الخفيف]

لِمَ خَلَيتنِي وَبَاعَدَت مَسرَا ... كَ وَمَالِي إِلَى ذَرَاكَ ارتِقَاءُ؟

بِالَّذِي فِيكَ مِن سَنَا لَا تَدَعنِي ... فِيمَ هَذَا المِطَالُ وَالإِبطَاءُ

مَا تَرَانِي وَقَد ذَهَبَت بِحَظِّي ... أَخطَأَنِي مِن بَعدِكَ النَّعمَاءُ

وَانتَهَى بَعدَكَ الجَمِيلُ فَلَا فَضـ ... ـلُ لِمسِكٍّ وَلَا يَدٌ بَيضَاءُ

وَمَشَى الحُسنُ فِي رِكَابِكَ وَالإِحـ ... ـسَانِ طُرا وَالغُرَّةُ السَّمحَاءُ

حَسَنَات كَانَت يَدُ الدَّهرِ عِندِي ... فَانطَوَت بِانطِوَائِكَ الآلَاءُ[1]

حيث يعتب الشاعر على امرأته طول المسافة بينه وبينها، حتى دعا عليها ؛لأنها تركته وتخلت عنه(لم خليتني...) ووصف قوته بالضعف والوهن بقوله:(ومالي إلى ذراك...) وحاول ناجي أن يناسب بين ألفاظه،

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (١٦٣)

فقال(بالذي فيك...) ليواءم بين لفظتي(السنا والارتقاء) وقد شبه امرأته بالضوء الذي يأتي من أعلى، والذي لا يقربه أحد على الوصول إليه، وقد قصد الشاعر بهذا الاستفهام العتاب وإلقاء اللوم على محبوبته، لكنه بعد ذلك يدخل في معان بالغ فيها أشد المبالغة ، حين ربط النعمة، وحسنات الدهر، وفضل الزمان عليه بوصل محبوبته، مما يعني أن انقضاء هذا الوصل يعدم من خلاله الشاعر نعمه وحسناته، وهي مبالغة تصل إلى حد الغلو؛ لأن الفضل والنعمة من الله لا ثاني له، ويبدو ناجي عندي كالتائه الحيران الذي سلم معانيه وعواطفه لشيطان شعره،كما أن الخلفية النفسية لأسلوب الاستفهام هنا:

(لِمَ خَلَيتنِي وَبَاعَدَت مَـــــسرَا كَ وَمَالِي إِلَى ذَرَاكَ ارتِقَاءُ؟)

تتقارب إلى حد كبير مع النموذج السابق من حيث ظهور علامات القلق والحيرة عند الشاعر ، ويبدو أن هناك ثمة عوامل حياتية للشاعر تجلى أثرها في كثرة هذا الأسلوب ، ويبدو– أيضا –أن هذا الأسلوب الاستفهامي خاصة في الشعر الرومانسي هو المتنفس الوحيد لدى الشاعر ، خاصة أن فيه بوحًا وجدانيًا واسعًا عند ناجي ، وحين قال مخاطبًا امرأته (فانطوت...) فكيف للآلاء والنعم أن تنطوي بانطواء الوصل وبعد المرأة ؟ وهي في الأصل تعم الاثنين معًا، ليس لأحدهما فضل أو منة على الآخر ، إنما المنة والفضل من الله، وأحسن ما في الأبيات تصويره لمحبوبته بأنها صاحبة موكب يسير فيه وحوله الحسن والإحسان، وهو تصوير غاية في الروعة زاده جمالًا بقوله:(والغرة السمحاء) ويبدو الأثر البلاغي لأسلوب الاستفهام في ربطه لمعاني الأبيات بهذا الأسلوب من ناحية المعنى، حيث توحدت المعاني كلها ؛ لتعطي معنى العتاب واللوم، دون تفرقة بيت عن آخر ودون انفصال تصوير عن تصوير.

المبحث الثالث : الاستفهام بـ (هل) وعلاقته بالانفعالات النفسية .

ومن الأدوات التي استعملها ناجي للاستفهام حرف الاستفهام (هل) وهو يطلب به التصديق فقط، وتدخل على الجملة الفعلية نحو: هل قام زيد؟ وعلى الجملة الاسمية نحو: هل عمرو قاعد؟[1] ،وتخرج (هل) من معناها الحقيقي إلى معان بلاغية يطلبها المقام ، ويقتضيها السياق.

النموذج الأول :

يعد هذا النموذج من النماذج التي جمع فيها ناجي بين أسلوبين مختلفين من أساليب الاستفهام، وهما(هل، وأين) والتي كان لهما دور كبير في توضيح الغرض الرئيس، الذي يهدف إليه من خلال هذا الأسلوب الذي خرج من معناه إلى معنى الإنكار الذي يحمل في طياته اللوم والعتاب، فهو يؤكد من خلاله على أن حياته لا تحسن ولا تستقر بها الحال، ولا ينعم فيها بالسعادة إلا عند لقاء محبوبته، فما في الحياة من صعوبات وما فيها من قلق واغتراب، وما فيها من آلام ومحن، يتلاشى كل ذلك عند لقاء محبوبته، وتتبدل حال الدنيا معه، ويشعر بالراحة والاستقرار والأمن، وهنا تتضح العلاقة بين الاستفهام والحالة النفسية التي عاشها الشاعر؛ وذلك

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم –للسكاكي تـ٦٢٦هـ(٣٠٨) ضبطه وعلق عليه/نعيم زرزور–دار الكتب العلمية–بيروت–١٤٠٧هـ، والإيضاح في علوم البلاغة– للقزويني تـ٧٣٩هـ(٥٧/٣)تحقيق:/محمد خفاجي–دار الجيل –بيروت–ط٣ ، وعروس الأفراح – للسبكي تـ ٧٧٣هـ(٤٣٢/١) تحقيق:د/ عبدالحميد هنداوي– المكتبة العصرية–بيروت–ط١–١٤٢٣هـ.

حين يقول: [الرمل]

التَقَت أرواحُنَا فِي سَاحَـــةٍ كَغَرِيبَينِ استَرَاحَا مِن سَفَـــرْ!

وَحَطَطنَا رَحلَنَا فِي وَاحَـــةٍ زَادَنَا فِيهَا الأَمَانِي وَالذِّكَـــرْ

وَتَسَاءَلتُ عَنِ المَاضِي وَهَـــل حَسُنَت دُنيَايَ فِي غَيرِ ظِلَالِـكْ؟

يَا حَبِيبِي! أينَ أمضِي مِن خَجَل وَفُؤَادِي أينَ يَمضِي مِن سُؤَالِكْ؟[1]

يقول ناجي في ساحات الغرام: تلتقي أرواح العاشقين مجهدة من صعوبات الحياة، وقد نالت منها أحداث الزمان ، حتى صار لقاؤها لقاء الغرباء، هكذا يبدأ ناجي مقطوعته باللقاء، لقاء أرواح تحفه الغربة، وتضنيه أعباء الحياة (كغريبين استراحا من سفر) حيث شبه علاقته بها بغريبين في البيت الأول ، ثم لجأ إلى تجسيد الأرواح في اللقاء ، واعتمد على تشبيه لقائهما بلقاء الغرباء، وما يوحي به من تلك الآثار التي تركتها أعباء الحياة في النفوس، وقوله في وصف المشبه به:(استراحا من سفر) تقييد لصورته وما يوحي به من طمأنينة المقام وهدوء النفس ، وحسن السكون والقرار، وقوله:(أرواحنا) يوحي بعمق اللقاء ، وقوة الامتزاج، وتنكير (ساحة) للتعظيم، وقوله:(وحططنا رحلنا) كناية عن الإقامة ، وناجي هنا يطالعنا بتعبير قديم مأثور عن العرب، وهو التعبير بحط الرحال، فقد جاء في حديث عمر: "إِذا حَطَطْتُمُ الرِّحالَ فشُدُّوا السُّروجَ"، أَي: إِذا قَضَيْتُمُ الحَجَّ وحَطَطْتُم رِحالَكم عَنِ الإِبل، وَهِيَ الأَكْوارُ والمَتاع، فشُدُّوا السُّروج عَلَى الْخَيْلِ للغَزْو[2]، غير أن ناجي لا يقصده على حقيقته وإنما قصد به الكناية عن الإقامة وإفشاء الأسرار.

---

(1) ديوان إبراهيم ناجي (١١).

(2) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر- لمجد الدين بن الأثير تـ٦٠٦هـ(٤٠٢/١) تحقيق:طاهر أحمد ، ومحمود الطناحي-المكتبة العلمية-بيروت-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

ومنه قول البوصيري: [الخفيف]

فَحَطَطْنا الرِّحَالَ حَيثُ يَحُطُّ الـ ... وِزْرُ عَنّا وَتَرفَعُ الحَوجَاءُ

وَقَرَأْنَا السَّلامَ أكْرَمَ خَلقِ الـ ... ـلَهِ مِنْ حَيثُ يُسمَعُ الإِقْرَاءُ

وإنما قصد الشاعر بالكناية في التعبير أن الإقامة أتاحت للحبيبين إفشاء أسرارهما ، ولعله قصد بالتعبير الكناية عن كشف مشاعرهما ، وقد باح كل منهما للآخر بما في قلبه، وأما قوله:(زادنا فيها الأماني والذكر) تشبيه للأماني والذكر بالزاد ، ولفظة (زاد) من لوازم المشبه به ، والاستعارة هنا مكنية ويظهر الشاعر هنا فرحًا متفائلًا لإقامته مع محبوبته، وقد شاركته تلك الإقامة بإظهار عاطفتها نحوه ، والقصر الواضح بتقديم المسند على المسند إليه في قوله(زادنا فيها...) يشير بوضوح إلى تلك الحالة النفسية المستكينة من الشاعر ، وقوله:(في واحة) استعارة تصريحية تصور مكان اللقاء بواحة ظليلة ترتاح فيها النفس من سفرها، وقوله:(تساءلت) تعني: تكرار السؤال بصيغ مختلفة بما يوحي بالرغبة في اكتشاف ما بقي من آثار الماضي الجميل، وقوله:(وهل حسنت...إلخ) استفهام الغرض منه الاستنكار الذي يحمل في طياته اللوم والعتاب ، ويبدو أن الشاعر من خلال الاستفهام يشير إلى ما يعانيه في البعد من شقاء؛ لأن قوله:(تساءلت عن الماضي) يفيد الحنين لماضيه، وقوله: (ظلالك) بصيغة الجمع، يفيد كثرة ألوان السعادة ، وكأنه يمهد لمناجاة حبيبته بقوله في البيت الأخير(يا حبيبي) والذي يظهر فيه النداء للاستعطاف والتحبب، ويبدو أن لفظة (حبيبي) مقيدة بالنداء عند ناجي، ففي البيت الأخير حين يقول:(ياحبيبي) كان يمكن له أن يتجاهل أداة النداء ، لكن إثباته إياها يؤكد كلامنا بأنه يعاني من جفاء وتجاهل،

ويفصل بالنداء بين الاستفهام السابق واللاحق، ويتساءل هو في الرد على سؤالها بسؤال يبرز حالته النفسية بعدها ، وقد تركت آثار عجلات الزمن على وجهه لمحات من تجاعيد تنبئ عن الشباب الراحل(أين أمضي من خجل) لا مكان ، فهو استفهام يفيد النفي والإنكار، وقول الشاعر:(وفؤادي أين يمضي) به تقديم للفؤاد على الاستفهام لغرض جلب الأسماع ولبيان قيمة هذا القلب الذي يحتوي على المنادى في قوله:(ياحبيبي) والاستفهام بـ(أين أمضي) مع تكراره يفيد الإنكار لغرض إظهار الشاعر لمدى حيرته ، وتصوير الشاعر للفؤاد بصورة إنسان يحسب له، وكأننا نرى فؤادًا يحتار في طريقه ، كيف يختار سبيلًا للراحة؟ فالاستعارة التي يمثلها الفؤاد من جانب، وطريقه من جانب آخر هي استعارة مكنية حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بما يدل عليه وهو الفعل (يمضي).

وبلاغة الاستفهام في الأبيات تتجلى في احتوائه على التصوير، وإيثار أدوات استفهامية على أخرى مثل (هل والتي تحتاج جوابًا من محبوبته، وأين) التي كررها الشاعر لإفادة الحيرة والشك.

النموذج الثاني:

ويبالغ ناجي في استعمال أسلوب الاستفهام بـ(هل) ، والذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى التعجب الذي يحمل في طياته النفي والإنكار؛ وذلك ليصور تلك الفترة الجميلة التي عاشها مع محبوبته، ويعبر عن فرحه الشديد ، وأمله البالغ ، حيث يقول: [الرمل]

هَل رَأى الحُبُّ سُكَارَى مِثلَنَا؟! كَم بَنَينَا مِن خَيَالٍ حَولَنَا!

وَمَشَينَا فِي طَرِيقٍ مُقمِـــرٍ تَثِبُ الفَرحَةُ فِيهِ قَبلَنَـــا!

وَتَطَلَعنَا إِلَى أنجُمِـــــهِ فَتَهَاوَينَ وَأصبَحنَ لَنَـــا!

وَضَحِكنَا ضِحكَ طِفلَينِ مَعًا وَعَدَونَا فَسَبَقنَا ظِلَّنَـــا![1]

المتأمل لهذا الاستفهام في قوله:(هل رأى الحب سكارى مثلنا؟!) يدرك أنه للتعجب ، وقد أجاب بنفسه عن هذا الاستفهام حين قال:(كم بنينا من خيال حولنا!) ؛ لأن المعاني التي استخدمها الشاعر توحي أنه قد عاش فترة زاهية في حبه لن تكرر ، حتى بلغ هو ومحبوبته مبلغًا يشبه حال السكارى، والخيال في الحقيقة لا يبنى ، وإنما تراه العين ولا تلمسه، وقد شبه صرح حبه القديم ببناء ضخم يحوطه هو وامرأته ، وحذف هذا البناء ورمز إليه بالفعل(بنى) على سبيل الاستعارة المكنية، وتأمل قوله:(تثب الفرحة فيه قبلنا!) وما تحويه من مدى معايشة الشاعر لفترة رائعة من أيامه، والجملة على إيجازها توضح اعتماد الشاعر على التصوير، فقد شبه الحبيبة بطفلة تثب وتقفز فرحة أمامه وحذف المشبه به(الطفلة) ورمز إليها بالفعل (تثب)على سبيل الاستعارة المكنية ، ويبالغ الشاعر في الأبيات حين يصور لنا تهاوي النجوم وقد تملكها هو وامرأته في قوله:(فتهاوين وأصبحن لنا!) ويعتمد على التشبيه في البيت الأخير حين يقول:(وضحكنا ضحك طفلين معا) حيث شبه ضحكاتهما في بساطتها وبراءتها بضحكة طفلين، ووجه الشبه هو البراءة والفرحة في كل، وتلتحم صورة الاستعارة في قوله:(فسبقنا ظلنا) مع التشبيه قبله؛ لأنه جعل من الظل متسابقًا يجري ليسبق منافسيه، وحذف المتسابقين، ورمز إليهما بالفعل(سبق)على سبيل المكنية.

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٣٥).

وتظهر في الأبيات الصورة البيانية بما تحويها من تشبيه واستعارة في إظهار المعاني المرادة؛ وتمهيد الشاعر للفظة(سكارى)في بداية مقطوعته مع أسلوب الاستفهام ينم عن الحالة النفسية والشعورية التي كانت تتملكه وقت حبه؛ ولذلك استعمل تلك اللفظة كنوع من الترقيق والتذكير لمحبوبته ، وكأنه يعاتبها،فكيف بلغ الحب بهما هذا المبلغ ثم ينفصلا؟! ويتجلى الأثر البلاغي للاستفهام، فهو تعجبي كما ذكرناه، لكنه في الوقت ذاته يبني أبياتًا بعده كاشفة لمعنى التعجب ، حيث يقول مترجمًا عن مشاعره: لا يمكن أن يرى الحب حبيبين قد انتابهما السكر وغابا عن دنياهما مثله هو وامرأته، وهل يرى الحب ويشهد إلا من خلال التصوير المتمثل في الاستعارة المكنية ؟! وهذا كله يعطي قوة وجلاء للأثر البلاغي للاستفهام.

النموذج الثالث:

ويشعر ناجي ببخل محبوبته في وصاله، فيعاتبها مستخدمًا أسلوب الاستفهام بـ(هل) الذي أفاد معنى التعجب والعتاب والاستعطاف قائلًا: [البسيط]

هَل مِنكِ يَومَ رِضًى ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ أعيَا خَيَالِي وَأضنَانِي تَوَقُّعُـــهُ؟!

كَم بِتُّ مُنتَبِهًا أُصغِي لِخُطوَتِـــهِ أرَاهُ فِي الوَهمِ أحيَانًا وَأسمَعُـــهُ!

وَأنتِ فِي أُفُقِ الأوهَامِ طَيفُ صِبًـا سَمَا وَدَقَّ عَلَى الأنهَامِ مَوضِعُهُ

فامرأته قد أظهرت بخلها بالوصل على الشاعر الذي قدم أبياته بقوله:

قُل لِلبَخِيلِ إِذَا مَا عَزَّ مَشرَعُهُ: يَا مَانِعَ المَاءِ عَنِّي كَيفَ تَمنَعُهُ

غَرَّ حُسنُكَ أن الخُلدَ جَدوَلُــهُ وَأنَّهُ مِن غَرِيبِ السِّحرِ مَنبَعُهُ؟[1]

حيث مهد الشاعر بأسلوب كنائي تشويقي يظهر من خلاله مقصده من الأبيات، حيث تمتنع امرأته عن وصله بقوله:(عز مشرعه) وباستفهامه في قوله(يا مانع الماء...) ؛ وذلك لإثارة انتباه المتلقي، وكأنه أمام رجل ظمآن لجأ إلى نبع ماء ، فحرم منه وأصبح معاتبًا لصاحبه الذي صده عن هذا النبع، ويبدأ الشاعر في سرد المعاني عبر استفهاماته ، والاستفهام في قوله: (كيف تمنعه) ليس تعجبيًا فحسب ، بل فيه من الإنكار أقصاه ومن الدهشة ما يصدم الحبيب في محبوبه، وينم عن حالة نفسية حزينة للشاعر ؛ لأنه كما يبدو من لفظة(بخيل) قلة وصل امرأته له، وكأن كرمها يعد وصلًا وراحة له، وأكد صفة البخل بأسلوب الاستفهام في قوله: (هل منك يوم رضى ضن الزمان به..)، والتعبير بضن الزمان تعبير نفسي واضح، وكأنه لم ير يومًا سعيدًا قط ؛ لذلك كان يأمل في هذا اليوم منها، كما أن التعبير به تصوير استعاري يشبه فيه الشاعر الزمان برجل بخيل على سبيل الاستعارة المكنية التي رمز فيها للمشبه به بالفعل(ضن)، وقوله:(أعيا خيالي) يقصد به الشاعر تكدر أيامه وصعوبة حياته ، وما يؤكد هذا المعنى قوله:(أضناني توقعه)، وقوله:(وأنت في أفق الأفهام طيف صبا) تشبيه لمحبوبته بالطيف في حال الصبا الذي وصفه الشاعر بأنه رقيق، وقد علا على الأفهام موضعه ، والغرض البلاغي من قول الشاعر:(هل منك يوم رضى ضن الزمان به) هو العتاب والاستعطاف والترقيق لقلب محبوبته، ويتجلى الأثر البلاغي للاستفهام هنا من إيثار ناجي لأداة الاستفهام (هل) على غيرها، التي تدل على إرادة الجواب

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٤٥).

المباشر ، لكنه لا يريد جوابًا ؛ لأن المقام مقام تعجب وعتاب من بخلها بالوصل له.

النموذج الرابع:

كما يتضح عمق الحالة النفسية في أسلوب الاستفهام بـ(هل) الذي جعله الشاعر وسيلة للترويح عما يحس به، فهو خرج من معناه الأصلي إلى معنى بلاغي يدور حول الاستعطاف والاستبعاد، وسيأتي توضيحه في ثنايا التحليل، فالشاعر فيها يئن لحاله، ويجعلنا نستشعر معه غاية الحزن في قوله :

هَل أنتِ سَامِعَةٌ أنِينِـــي ... يَا غَايَةَ القَلبِ الحَزِيـــنِ [مجزوء الكامل]

يَا قِبلَةَ الحُبِّ الخَفِـــيِّ ... وَكَعبَةَ الأملِ الدَّفِيـــنِ

إنِّي ذَكَرتُك بَاكِيًـــــا ... وَالأُفقُ مُغبَرٌّ الجَبِيـــنِ

وَالشَّمسُ تَبدُو وَهيَ تَغـ ... رُبُ شِبهَ دَامِعَةَ العُيُـونِ

أمسَيتُ أرقُبُهَا عَلَـــى ... صَخرٍ وَمَوجِ البَحرِ دُونِي

وَالبَحرُ مَجنُونُ العُبَـــا ... بِ يَهِيجُ ثَائِرُه جُنُـــونِي

وَرِضَاكِ أنتِ وِقَايَتِـــي ... فَإِذَا غَضِبتِ فَمَن يَقِينِي؟!(١)

فبدلًا من أن يستفهم الشاعر عن سماع محبوبته لسعادته ،استفهم عن سماعها لأوجاعه وشقائه ، وبدلًا من أن يجعل منها غاية القلب السعيد أضاف الحزن إلى القلب ، فيشعر المتلقي بنفسية متألمة، وسنجد

(١) ديوان إبراهيم ناجي (١١٢).

ذلك في أكثر من موضع كان الاستفهام أوضحها، فالشاعر يستفهم من صاحبته عن إمكانية سماعها لأنينه ، مما يشير إلى تدفق الحزن والأنين إلى قلبه وبلوغه مبلغًا يمكن معه لحبيبته أن تسمعه بأذنيها، وقوله:(هل أنت سامعة أنيني) تصوير استعاري واضح الأركان ، فقد استعار ناجي لأنينه صوتًا عاليًا، وجلبة مرتفعة، وإنما يكون الأنين بالقلب لا يسمع ، بل يشعر به صاحبه، وحذف المستعار منه وهو الصوت المرتفع ، ورمز إليه الشاعر بشيء من لوازمه وهو(سامعة) على سبيل الاستعارة المكنية ، والاستفهام هنا له غرض بلاغي ألا وهو الاستعطاف ؛لأنه يستفهم ويعلم يقينًا أن امرأته لم تشعر به ، وواضح من الأبيات أنها غاضبة غضبًا شديدًا ، وقد قطعت وصلها معه، وهو يستبعد شعورها بحزنه وندمه، ويمكننا أن نضيف إلى الاستعطاف معنى آخر لا يستبعده الاستفهام، وهو الاستبعاد ، وكأن ناجي يطلب من امرأته أن تداوم وصلها بدليل قوله: (فإذا غضبت فمن يقيني؟)والاستفهام هنا للنفي، فلن يجد من يقيه مما هو فيه سواها، وإنما آثر الأسلوب الاستفهامي ؛ ليضع حبيبته في مأزق عاطفي، وهو تجاهلها وتغافلها عن مشاعره، فإن صوت الأنين عال يسمع من حوله؛ لذا فإن سماعها لهذا الحزن الدفين في غاية الإمكان ، ولم يكتف الشاعر بأسلوب إنشائي واحد في البيت ، بل مزج بين الاستفهام في مطلعه، والنداء في الشطر الآخر في قوله:(ياغاية القلب الحزين) وهذا يظهر مدى التدفق العاطفي، واعتلاج القلب بالعاطفة لدى الشاعر، وهل هناك أدل على هذا التدفق من قوله:(ياغاية القلب؟)، فقد جعل محبوبته الغاية ، والهدف الذي يسعى إليه في حياته، وأسلوب النداء هنا يستدعي به الشاعر عاطفة المنادي وهي محبوبته، وكأنه يقول :كيف لا تسمعي أنيني وما في القلب سواك؟! وأما قوله:(يا قبلة الحب الخفي) ، فقد امتزج

النداء في العبارة مع الاستفهام في البيت الأول ؛ لأن مجرد تخيل الشاعر لمحبوبته في صورة الحب الخفي ، وكونها قبلة له يعني :أن الاستفهام في موضعه ؛ لأن الاستفهام عن سماع الأنين لا يكون إلا إلى عزيز قريب إلى القلب ، وهذا المزج بين النداء والاستفهام يمكن أن يطلق– أيضا –على كعبة الأمل الدفين ، والذي يظهر فيه قيمة تلك المحبوبة لدى الشاعر، حتى إنه جمع بين القبلة والكعبة بأسلوب مراعاة النظير في بيت واحد، وكأن توجه القلب لا يكون إلا لها، وأجمل ما في الأبيات هو افتتاحها باستفهام ، وختمها باستفهام في قوله:(فمن يقيني) وكأنه يقرر ويؤكد كلامه في العبارة السابقة في قوله:(ورضاك أنت وقايتي)، وبين الاستفهامين أحب الشاعر أن يعلي من قدر معانيه في أكثر من موطن حين مزج بين التعبير الحقيقي والمجازي ، وجعل الأفق له جبين كجبين الإنسان ، ووصفه بالغبرة على سبيل الاستعارة المكنية ؛ليجعلنا نعيش معه معاني الحزن والألم، حين يقول:(إني ذكرتك باكيا...إلخ) فالطبيعة تشارك الشاعر أحاسيسه ، فهذا هو الأفق من جانب، وتلك هي الشمس من جانب آخر، حين يصورها في صورة امرأة تفرح وتحزن، وقد سكبت منها الدموع وقت غروبها في قوله:(وهي تغرب...إلخ) ليتزين التصوير في زي الاستعارة المكنية جميلا بليغا، حيث إن الغبرة عند الأفق تناسب دمع العين في غروب الشمس، ولما أراد ناجي أن يصف البحر هو الآخر صوره في صورة الرجل المجنون الهائج؛ لأنه ارتأى تصوير الجنون له أنسب في إسقاط معنى الحزن والاضطراب الذي ألم به، وهو من بداية الأبيات قد أطلعنا على مشاعره الحزينة من لفظتين مترادفتين هما(أنيني، والحزين)، فالشاعر لم يقصر حماية محبوبته له على غضبها أجفائها وجفاف وصلها ، وإنما رضاها هي عنه فيه حمايته ووقايته، فإذا غضبت عليه أو هجرته،

فمن يقيه أو يحميه؟ وهذا أروع وأفضل في مخاطبة المحبوبة ، وفى الأبيات تبدو لنا خصائص الرومانسية واضحة جلية في الامتزاج بين الشاعر والطبيعة يبثها آلامه ويرى في مرآتها حاله.

النموذج الخامس:

ومن إبداعات ناجي الجميلة ، ما نجده في هذا النموذج الذي خرج الاستفهام فيه إلى معنى العتاب والتقرير ، فالشاعر يستعين لتصوير العهد الذي بينه وبين محبوبته بهذا الأسلوب الذي تتدفق من خلاله الطبيعة بجمالها وتفاصيلها عبر تراكيب منتظمة حين يقول:

[الكامل]

هَل كَانَ عَهدُكِ قَبلَ تَشتِيتِ الهَوَى إِلَّا مُخَالَسَةَ[1] الخَيَالِ الطَّارِقِ؟

إِشرَاقَةٌ وَطَغَى عَلَيهَا مَغـــــرِبٌ غَيرَانَ يَخطِفُهَا كَخَطفِ السَّارِقِ

أو لَمعَةٌ لَم تَتئِدْ[2] ذَهَبَتْ بِهَـــا دَكنَاءَ[3] مَدَّت كَفَّهَا مِن حَالِـقِ

وَكَأَنَّ ثَغرَكَ وَالنَّوَى تَعدُو بِهَـــا شَفَقٌ يَلُوحُ عَلَى نَضِيدِ[4] زَنَابِـقِ[5] [6]

حيث يلجأ الشاعر مرة أخرى إلى أسلوب القصر مع الاستفهام ، الذي

([1]) المخالسة : أخذ الشيء مكابرة.[معجم العين –للخليل:٤/١١٧–خلس].

([2]) تتئد: تسكن.[المحكم والمحيط الأعظم –لابن سيده:٩/٤٥٣–وأد].

([3]) دكناء: سوداء غبرة.[معجم العين –للخليل:٥/٣٣١–دكن].

([4]) نضيد: متاع البيت المرصوص بعضه فوق بعض.[الصحاح –للجوهري:٣/٥٤٤–نضد].

([5]) الزنابق: دهن الياسمين.[معجم العين –للخليل:٥/٢٥٦–زنبق].

([6]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٤٩).

يفيد التقرير ، حيث قصر فيه مخالسة الخيال الطارق على العهد الذي بينه وبين امرأته قبل الجفاء والبعد، ويبدو أنه يعاتبها من خلال هذا الاستفهام ، ويقول لها :إنه قد غلبته أخيلة امرأته ، فلم يستطع إلا الاستسلام لها ، وأما قوله:(إشراقة) فهو وصف للخيال الطارق ، وإنما قصد بقوله:(وطغى عليها مغرب غيران) الكناية عن ذلك الجفاء الذي تم له بعد العهد ، لكنه لا يستغني عن التشبيه– أيضا –حين يقول:(يخطفها كخطف السارق)، حيث شبه خطف المغرب للإشراق بخطف السارق للشيء خلسة، ووجه الشبه :الخفاء مع الحيطة في كل ، وقوله:(لمعة) معطوفة على قوله: (إشراقة) واختيار أداة العطف (أو) يفيد التنوع في ألفاظ الشاعر ، وتعدد وصفه، وللخيال الطارق الذي كان لمعة أطفأ نورها الدكناء، والتي مدت يدها لتأخذ ما فيها من ضياء، فهذه إشراقة طغى عليها مغرب ، وهذه لمعة ذهبت بها دكناء، حيث نشعر بيأس الشاعر من بيتين متتاليين من خلال اختيار تعبيرين غاية في تأدية هذا المعنى(وطغى عليها مغرب، ذهبت بها دكناء)، ويختم الشاعر أبياته بتشبيه يؤكد على مدى وفائه لعهده، يجعل من خلاله ثغر محبوبته ، والبعد الحاصل بينهما بطلين وركنين في المشبه، حين يقول : وكأن ثغرك والنوى تعدو بها...إلخ (ليكون المشبه مركبًا، وهو حال تغري محبوبته حين وجود النوى والبعد بينهما، ومرور الأيام دون وصال، ويأتي المشبه به في صورة مركبة– أيضا –في قوله :(شفق يلوح على نضيد زنابق) ليحيرنا الشاعر في مناسبة المشبه به للمشبه، فمن أين أتى بالشفق الذي يلوح على نضيد الياسمين؟ حتى يناسب بينه وبين الثغر والنوى، لكننا عند التدقيق والتأمل نلحظ أنه يقصد أن الأمل في وصال امرأته كائن لا محالة، ووجه الشبه بين الصورتين هو الصورة الحاصلة من تحرك خيال شيء على

شيء آخر ذي رائحة طيبة في كل، وأما الأثر البلاغي لأسلوب الاستفهام في قوله:(هل كان عهدك) يتجلى في اعتماد الأسلوب على العتاب مع إفادة التقرير ، كما أن الاستفهام هنا مكن الشاعر من تعدد وصف الخيال في أكثر من موضع، وقد خرج من معناه إلى معنى بلاغي آخر جعل المتلقي يشارك الشاعر في عباراته وتراكيبه، كما يشاركه في أحاسيسه وانفعالاته.

النموذج السادس:

ويعاود ناجي التعجب بـ(هل) في موضع آخر حين ينادي على امرأته (مي)،بقوله:[الكامل]

يَا مَيَّةَ الحَسنَاءُ هَل يَغزُو الهَوَى ... قَلبَينِ مَا كَانَا عَلَى مِيعَـــادِ؟[1]

لَا شَيءَ إِلَّا أن ذُكِرتِ فَهَزَّنِـــي ... طَرَبٌ وَبَاتَ عَلَى الحَنِينِ فُؤَادِي

وَظَلَلتُ أحلُم وَالتَفَتُّ لِسَاعَـــةٍ ... تَدنُو إِلَيَّ بِطَيفِكِ المَيَّـــادِ

يَا مَيُّ إِنِّي قَد مُنِيتُ بِظُلمَـــةٍ ... وَاللَّيلُ يَجثُمُ فَوقَ صَدرِ الوَادِي

فَأَنَرتِ لِي قَلبِي وَصِرتُ كَأَنَّمَـــا ... هَذَا السَّوَادُ الجَهمُ غَيرُ سَوَادِ[2]

فهو هنا يتعجب من هواه المفاجئ لتلك المرأة التي لم يكن بينه وبينها موعد سابق، ويبدو أن الشاعر لم يرها في الموعد ، وإنما ذكر اسمها أمامه ، فاهتز طربًا وحنينًا لهذا الاسم، وهو ما يظهر جليًا في البيت الثاني ، والشاعر اعتمد في حبه على طيفها الذي يأتيه في الحلم ، ويصف

([1]) كسر في الوزن في قوله:(قلبين ما كانا على ميعاد).

([2]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٩٣).

حياته قبل حبه لمية بأنها كانت ظلاما في قوله(إني قد منيت...) فنسب إلى نفسه ظلمة وجعل حياته تتصف في جميع جوانبها بالليل وظلمته حين يقول:(والليل يجثم...) وهو يرمز بصدر الوادي لحياته كلها في جميع جنباتها ، وإنما اختار الوادي وآثره على غيره لسعته وتعدد نواحيه، كذلك حياة الشاعر، وهو ما يشير إلى نفسية لا تجد خيرًا فيمن حولها إلا في حالات معدودة وأحوال نادرة وهو حين يقول:(فأنرت لي قلبي) إنما يريد تحويل هذا القلب من يائس إلى سعيد ، والتعبير بقوله:(هذا السواد الجهم) تعبير قاس على النفس لو تأملنا فيه للاحظنا نفسية الشاعر المجهدة قليلة الإحساس بحلاوة الحياة ، رغم أنه في موضع تغزل وموقف رومانسي، ، ويبدو أن ناجي يتخذ في بعض الأحيان من نداء محبوبته وسيلة، أو ذريعة للاستفهام التعجبي الذي يلفه الإنكار؛ لأن مجرد سؤاله عن غزو الهوى لهذين القلبين اللذين لم يتفقا على موعد يثير التعجب، والاستفهام فاقد للتصوير ، لكنه حي بالتعبير؛ لأن مجرد تفاجئ الشاعر بأحاسيسه نحو: امرأة لمجرد سماع اسمها عبر عنه الشاعر ببساطة وسهولة، وقد سرد الشاعر تراكيبه وتعبيراته في قوالب حية دون أن يطيل أو يطنب في الحديث.

ويتضح من خلال التحليل لبلاغة الاستفهام بالأداة(هل) أن الشاعر اتكأ عليها في انفعالاته النفسية لتفيض بمعان أبرزها التعجب والإنكار والاستبعاد والتقرير والاستعطاف.

المبحث الرابع: الاستفهام بـ(أين) وعلاقته بالانفعالات النفسية

ومن أدوات الاستفهام التي اتكأ عليها ناجي في التعبير عن مدى رومانسيته لأغراض بلاغية متباينة أداة الاستفهام(أين) ويسأل بها عن المكان[1]، وتخرج في كثير من تعبيرات الشاعر عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى بلاغية تتضح من خلال التحليل والعرض .

النموذج الأول:

فهذا هو ناجي عندما يتوجه بالخطاب إلى امرأته معبرًا عن مدى اشتياقه لأيام السمر التي كان يستمتع فيها بالنظر إلى عينيها، يلجأ إلى اسم الاستفهام (أين) متحسرًا بقوله: [الرمل]

أينَ نَادِيكِ وَأينَ السّمَّرُ أينَ أهلُوكِ بِسَاطاً وَنَـدَامَى

كُلَّمَا أرسَلتُ عَينِي تَنظُرُ وَثَبَ الدَّمعُ إِلَى عَينِي وَغَامَا[2]

ويسائل ناجي الدار بقوله:(أين ناديك، وأين السمر، أين أهلوك...) وهو استفهام متكرر موجع ينم عن حالة نفسية ينتابها حسرة شديدة ، وألم نفسي مهلك يرى أثره في قوله:(كلما أرسلت عيني...) وسرعة التأثر في قوله:(وثب الدمع) وكلاهما يشير إلى رقة إحساس الشاعر، ويتجلى التصوير في البيت الثاني ليساند أسلوب الاستفهام في جلاء غرضه ، ومعناه في قوله:(أرسلت عيني تنظر)، فالتعبير يشير إلى مدى الاشتياق والتحسر على ماضٍ جميل شهد أيام فرحته، والتعبير بالإرسال هو الذي

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم (٣١٣) ونص كلامه: وأما أين ،فللسؤال عن المكان إذا قيل: أين زيد ، فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق ينتظم الأماكن كلها.

(2) ديوان إبراهيم ناجي (١٤).

أوقفنا على التصوير ، وكأننا نتخيل عينى الشاعر رجلًا ورسولًا يبعث بين الشاعر وديار أحبته على سبيل الاستعارة المكنية، ويكمل هذا التصوير تصوير آخر في الشطر الأخير من الأبيات في قوله:(وثب الدمع إلى عيني وغاما) فأي دمع يثب؟! وهو تعبير غريب لتعارض الدمع السائل مع صفة الوثب التي تثبت بخلافه؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، ومع أن الشاعر أراد التعبير عن مدى الحنين إلى أيام سروره في وصال أحبته، إلا أن التعبير بالوثب لم يناسب هذا المعنى؛لأن الوثب لا يناسب الدمع، وكان يمكن استبداله بتعبير آخر كـ(انهمر الدمع) ، وأظنه انفرد بهذا التعبير بين الشعراء قديمًا وحديثًا، ولا شك أن الصورة رائعة أبدت مدى سرعة تأثره وغلبة الحنين والوجد عليه ، حتى برز ذلك في وثوب الدمع وانهماره من عينيه عند أول نظرة إلى ديار أحبته، وأما بلاغة الاستفهام في البيتين، فتتضح من خلال المعنى البلاغي الذي خرج إليه هذا الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى التحسر، ويبدو أن هذا المعنى البلاغي يحدده البيت الثاني ويساعد في إيضاحه، حيث نجد التعبير عن الشوق بإرسال العين ووثب الدمع يدلان على مدى تحسر الشاعر الذي جعله يبحث من خلال التعبير باسم الاستفهام (أين) عن الأيام الخوالي وعن ذكرياته التي اشتاق إليها، وهذا كله يؤكد العلاقة الوثيقة بين الاستفهام والانفعالات النفسية التي تنبع من داخل الشاعر.

النموذج الثاني:

ويصور ناجي–في تعجب وتعظيم– محبوبه الذي ندر وجوده، وكأنه يتدلل عليه لما فيه من سحر وجمال، ولما ينطوي عليه من نبل وجلال وحياء، ولما فيه من ثقة بنفسه، وعظمة تبدو في خطواته الواثقة كأنه

ملك، فيلجأ إلى الاستفهام ليبرز ذلك كله، ويعبر عن حالته النفسية وانفعالاته المتأثرة بذلك فيقول:

[الرمل]

أينَ مِن عَينِي حَبِيبٌ سَاحِـرٌ فِيهِ نُبلٌ وَجَلالٌ وَحَيَـــــاءْ؟

وَاثِقُ الخُطوَةِ يَمشِي مَلِكًـــا ظَالِمُ الحُسنِ شَهِيّ الكِبرِيَـــاءْ

عَبَقٌ[1] السِّحرِ كَأَنفَاسِ الرُّبَـا سَاهِمُ الطَّرفِ[2] كَأَحلَامِ المَسَاءْ

مُشرِقُ الطَّلعَةِ فِي مَنطِقِـــه لُغَةُ النورِ وَتَعبِيرُ السَّمَـــاءْ

.....

أينَ مِنِّي مَجلِسٌ أنتَ بِهِ فِتنَةٌ تَمَّت سَنَاءً وَسَنَى؟

وَأَنَا حُبٌ وَقَلـــب وَدَمٌ وَفِرَاشٌ حَائِرٌ مِنكَ دَنَا[3]

الناظر في الأبيات يجد أن ناجي استهل هذه المقطوعة باستفهام الغرض منه التعجب والتعظيم لهذا الحبيب الذي قد ندر وجوده في عين المحب ، وقد ذكر بعض الصفات لذلك منها: أنه قد سحر من حوله ، كما أن فيه نبلًا وجلالًا وحياء، وقد شبهه في خطوته بالملك ؛ ليكون وجه الشبه هو البلوغ من الجمال والثقة والعظمة مبلغًا لا يضاهيه فيه أحد ،

---

(1) العبق: الطيب بالثوب وغيره إذا لصقت رائحته به.[جمهرة اللغة-لابن دريد: ٣٦٤/١-عبق] تحقيق:رمزي منير-دار العلم للملايين-ط١-١٩٨٧م.

(2) ساهم الطرف: شارد ببصره.[معجم اللغة العربية المعاصرة-د/أحمد مختار: ١١٢٦/٢-سهم] عالم الكتب-ط١-١٤٢٩هـ، وهذا هو المعنى المعجمي وليس المراد.

(3) ديوان إبراهيم ناجي (١٣٤).

وناجي قد تخير بعض الألفاظ التي تخدم تدفق مشاعره، فعندما أراد أن يسند إلى محبوبه الحسن والكبرياء ، قال:(ظالم الحسن شهي الكبرياء)، وإسناد الظلم إلى الحسن غريب، فالشاعر في ذلك يريد أنه جاوز الحد في حسنه ودلاله؛ لأنه أراد أن يؤكد مدى هذا الجمال الذي يستأثر بالقلوب ، ويجذب العقول ، فليس كباقي الجمال، كما أن إسناد (الشهي) إلى (الكبرياء) غريب أيضا، لكن الشاعر أراد أن يقول: إنه لا يليق بمثل محبوبه التواضع ؛ لأنها فاقت جمال المتواضعين، وإنما الكبرياء دأبها ولها الحق في ذلك ، وهاهنا إحدى خصائص التصوير عند الرومانسيين وخاصة مدرسة أبولو التي كان شاعرنا وكيلًا لها، وهي ما يعرف بتبادل الحواس ،حيث الكبرياء يشتهى ، والنور يسمع ، والسحر يشم ، وقوله:(عبق السحر كأنفاس الربى) به تشبيه لرائحة المحبوب بعبق السحر، ولم يكن للسحر عبقًا حتى يصير مشبهًا به ، وإنما أراد ناجي أن يظهر مدى جمال المحبوب الذي يصل لدرجة الخيال وليس الواقع ، ثم ينطلق من هذه الصورة ليجعلها مشبهًا ، ويشبهها بأنفاس وروائح الجنان (الربى)، ووجه الشبه بين الصورتين هو الرائحة الفواحة في كل، وقوله:(ساهم الطرف كأحلام المساء) تشبيه في غاية الدقة، حيث شبه ناجي طرف محبوبته الناعس الساهم ، والذي وقع أثره في قلبه بأحلام المساء التي تروح وتغدو، ووجه الشبه:هو وقعها الرائع في نفس المحب ، وما تشيعه فيه من أنس وهيام.

ومن الملاحظ هنا أن الشاعر قد تدرج عبر الاستفهام في قوله:(أين من عيني حبيب ساحر) وكأنه يتعجب من هذا الحبيب الذي يستدعي سؤالًا من المتلقي، وهو لماذا هذا الحبيب أسر عين الشاعر حتى استدعى

السحر في تعجبه؟ فانطلق ناجي يجيب بقوله:(فيه نبل وجلال وحياء) إلى نهاية الأبيات .

ويكرر ناجي هذه المعاني نفسها حين يقول:(أين مني مجلس أنت به ...إلخ) فتكرار الاستفهام في القصيدة نفسها يعني التساؤل النفسي عند ناجي ، والإلحاح الشعوري لديه، كما أن أداة الاستفهام (أين) تكررت للغرض البلاغي السالف نفسه ، وهو التعجب من هذا المجلس، الذي سيكون به هذا الحبيب، وقد ذكر أسباب ذلك ، وهو أن يتحول هذا المجلس إلى فتنة ما بعدها فتنة.

ويبدي ناجي مبرراته لهذا التعجب من نفسه في البيت الثاني ، حيث يذكر أنه إنسان مكون من (حب، وقلب، ودم) كأنه يسترعي انتباهها وانتباهنا معها أنه إنسان من قلب ودم لا يستطيع أن يتحمل هذه الفتنة، وهذا الحسن الظالم الذي حوله إلى فراش يحوم حول النار منبهرًا بضوئها إلى أن تناله بلهيبها.

النموذج الثالث:

وتتجلى الحيرة النفسية أكثر عند ناجي حين يستفهم عن موضع سلطانه ومجده بقوله:[الرمل]

أينَ سُلطَانِي وَمَجدِي وَالَّذِي حُبُّهُ مَجدٌ وَسُلطَـــانٌ وَعِزَّه؟

أينَ إِلهَامِي وَنُورِي وَالَّـــذِي أيقَظَ القَلبَ إِلَى البَعثِ وَهَزَّه؟[1]

فقد كرر ناجي الاستفهام بـ(أين) في بيتين متتاليين مما يؤكد على

(1) ديوان إبراهيم ناجي (٢٤٢).

استعانته بأسلوب الاستفهام ، لتفريغ شحنة شعورية تتملكه ، ويلجأ في كل أسلوب من هذه الأساليب إلى التصوير الذي يساعده على تقريب ما يريده ، فهو في البيت الأول: يشبه حبه بالمجد؛ ليكون وجه الشبه الوصول إلى الرفعة في كل ، ويكرر المشبه به وهو (السلطان) ليشبه حبه بالسلطان ليكون وجه الشبه التملك في كل ، ولولا أنه اعتمد على التصوير البياني داخل أسلوب الاستفهام ما استعذبنا هذا الأسلوب؛لأنه في الأصل يبحث عن سلطانه(حبه) فكان من اللائق به أن يجد تصويرًا مناسبًا يتلاءم مع هذا السلطان ، لكننا حين نقرأ الاستفهام بـ(أين) كأننا نبحث عن المستفهم عنه وهو(السلطان والمجد) فكيف لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب ؟ لولا أنه في حال مضطربة تتوجس خوفًا مما هو قادم ، وقوله:(أين إلهامي...إلخ) يرسخ ما قلناه، والإبداع عند ناجي في البيتين، كما أري في قوله:(أيقظ القلبَ إلى البعث وهزَّه) وكأن قلبه كان ميتًا، فأعيدت له الحياة لمجرد حبه الذي سماه بالإلهام والنور، والجملة استعارية خالصة فيها تشبيه ما بداخل الشاعر من وجد وشوق بإنسان يوقظ من حوله، ولازم المشبه به المحذوف الفعل(أيقظ)، على سبيل الاستعارة المكنية، وتساند تلك الاستعارة استعارة أخرى في قوله:(وهزه) والتقدير: وهز القلب إلهامي ونوري، والضمير يعود إلى الإلهام والنور ، وكأنهما قاما بفعلين في آن واحد، وهما (الإيقاظ والهز) وتبدو الاستعارة الثانية بنفس مكونات ما قبلها مع اختلاف لازم المشبه به المحذوف ، والذي يأتي هنا بالفعل(هز) ووجود استعارتين في شطر واحد ترسخ إحداهما الأخرى يحسب للشاعر، ويجعل مشاعره صادقة لا غبار عليها،(ومما هو أَصْلٌ في شرَف الاستعارة، أنْ

تَرى الشاعرَ قد جمع بين عدةِ استعاراتٍ، قَصْدًا إلى أَنْ يُلحقَ الشكلَ بالشَّكْلِ، وأن يُتِمَّ المعنى والشَّبهَ فيما يريد)[1]، ولولا الاستفهام في البيتين ما استطعنا أن نحوم حول مشاعر الشاعر وانفعالاته ونفهمها كما يريدها هو.

النموذج الرابع:

وما زال ناجي يستعين بـ(أين) في بعض استفهاماته ليعبر عن مدى الحنين والتحسر ، وهذا هو الغرض البلاغي من الاستفهام ، ومن ذلك في نهاية أبياته التي نظمت في ألين كلام وأرقه ، وعبرت تعبيرًا دقيقا عن مشاعره الرقيقة الفياضة، والتي يقول فيها: [الخفيف]

أيُّهَا الغَائِبُ العَزِيزُ النَائِـــي ... فَسَدَت لَيلَتِي وَضَاعَ هَنَـــائِي

قَمَرِي أنتَ لَيسَ لِي مِنكَ بُـــد ... فِي اعتِكَارِ السَّحَائِبِ السَّـوداءِ

هَذِهِ الشُّرفَةُ الَّتِي جَمَعَتنَـــا ... يَا حَبِيبِي بِوَجهِكَ الوَضَّـــاءِ

سَأَلَت عَنكَ فَالتَفَتّ إِلَيهَـــا ... وَبِنَفسِي كَوَامِنُ البُرَحَـــاءِ

قَائِلًا صَه! بِاللهِ لَا تَسأَلِينِـــي ... فَكِلَانَا مِن دُونِهَا فِي عَنَـــاءِ

أينَ ذَاكَ الوَجهُ الَّذِي يُرسِلُ النُّو ... رَ وَيُوحِي إِشرَاقُهُ بِالصَّفَـــاءِ؟[2]

وقد ابتدأ الشاعر بنداء محبوبته في صورة الغائب العزيز البعيد ، ليعلمها ما حل بليلته وما حدث بسعادته، ويشبه امرأته بالقمر في قوله(قمري أنت) بتقديم المسند وتأخير المسند إليه؛ لأهميته عند ناجي،

([1]) ينظر: دلائل الإعجاز –لعبدالقاهر الجرجاني ت٤٧١هـ (٧٩).

([2]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٧٠).

والتشبيه بالقمر مشهور متداول، كقول البهاء زهير:

[المتقارب]

أيَا قَلبُ، تَعْرِفُ مَنْ قَدْ أتَا ... كَ وَيَا عَيْنُ، تَدْرِيْنَ مَنْ قَدْ حَضَرْ؟

وَيَا قَمَرَ الأُفْقِ عُدْ رَاجِعًا ... فَقَدْ حَلَّ فِي الدَّارِ عِنْدِي القَمَرْ

وَيَا لَيْلَتِي، هَكَذَا هَكَذَا ... وَبِاللهِ بِاللهِ قِفْ يَا سَحَرْ

فَكَانَتْ كَمَا أَشْتَهِي لَيْلَةٌ ... وَطَالَ الحَدِيْثُ وَطَابَ السَّهَرْ [1]

وقول عمر بن أبي ربيعة: [البسيط]

يَا صاحِبَيَّ أقِلّا اللَومَ وَاحتَسِبا ... فِي مُستَهامٍ رَماهُ الشَوقُ بِالذِكَرِ

بِبَيضَةٍ كَمَهاةِ الرَملِ آنِسَةٍ ... مِفتانَةِ الدَلِّ رَيّا الخَلقِ كَالقَمَرِ

سَيفانَةٍ فُنُقٍ جَمٍّ مَرافِقُها ... مِثلِ المَهاةِ تُراعي ناعِمَ الزَهَرِ(٢)

لكنه أراد أن يبدع فيه ، فقال:(ليس لي منك بد) ، ولعله أراد أن يبرهن على فساد ليلته ، وضياع سعادته لبعدها عنه ، وقد قيد حاجته الملحة إلى امرأته بعبارة رائعة هي قوله:(في اعتكار السحائب السوداء)، ولعله أراد بالسحائب السوداء لياليه(التي هي مجاز مرسل عن عمره فيما بعد الفراق، وعلاقته الجزئية) التي أفسدها البعد والنأي، فهو تقييد يحسب للشاعر، حتى يستشعر المتلقي بأهمية ذلك القمر الذي تتجلى الحاجة إليه في الليالي المظلمة، لكننا من ناحية أخرى عند التدقيق نجد أن تقييد حال

([1]) ديوان البهاء زهير(١٢٥) تحقيق:محمد أبو الفضل، وطاهر الجبلاوي–ط٢–دار المعارف.

([2]) ديوان عمر بن أبي ربيعة(٧٣)دار القلم– بيروت– لبنان– لا ط– من دون.

المشبه به ينتج عنه ضعف في المعنى العام لصورة التشبيه؛لأنه يعني أن السحائب السوداء إذا انجلت وحل محلها سحائب أخرى،أو صفت السماء، فإن الشاعر لا حاجة له بهذا القمر، وهذا غير مراد ، ويستطرد الشاعر في البيت الثالث والرابع والخامس في وصف حبيبه، والمعاناة التي لقيها في البعد عنه ليختم الأبيات بما يؤكد شدة الجفاء الذي يعايشه بأسلوب استفهامي مستعملًا(أين) ليدلل على حيرته واضطرابه وانفعاله، فيقول:(أين ذاك الوجه...إلخ) وقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي رائع وهو الحنين والتحسر ، فبعد ما كانت امرأة الشاعر تمثل له القمر والضياء، صار مستبعدًا عليه أن يرى هذا النور مرة أخرى، وهو يتحسر على ذلك.

النموذج الخامس :

ويقول ناجي في رباعياته مستفهمًا عن حبه المشبع بالأحلام والآمال، معبرًا عن معنى التحسر الذي يكتنفه معنى الاشتياق والحنين ، وسيأتي توضيح ذلك في ثنايا الشرح، حين يقول:[السريع]

أينَ زَمَانٌ مُكتَسٍ يَومُـهُ ... بِالحُبِّ مُوَشًّى بِحُلمِ الغَدِ؟

مَن هَاتِهِ الأيَّام مَحرُومَةٌ ... عرِيَانَةَ الآمَالِ وَالمَـوعِدِ[1]

ويبدو أن معاني الحيرة والاضطراب ستلازمنا في كل أسلوب استفهامي تستعمل فيه(أين)؛ لأننا نستشعر ذلك في الأبيات ، حيث يطلب الشاعر جوابًا شافيًا كافيًا لما يضطرب بداخله، ويجول في نفسه، حين يسأل عن الحب الذي كان متوشحًا أحلام الغد ، وجمال الاستفهام في البيت الأول

(1) ديوان إبراهيم ناجي (٣١٠).

يظهر من خلال الأسلوب الاستعاري في قوله:(أين زمان مكتس يومه بالحب) فمن الذي يكسو ومن الذي يكتسى ؟ إن الذي يكسو عند ناجي هو حبه، وإن الذي يكتسى عنده هو زمانه، وقد شبه الحب برداء يستر ما تحته ويشمله وحذف الرداء ، ورمز إليه باسم المفعول (مكتسى) على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية ، وتؤازر تلك الاستعارة في التعبير نفسه استعارة أخرى تأتي في قوله:(موشي يومه بحلم الغد) حيث شبه الحلم بالوشاح الذي يوشي ما تحته، فيجلب الأنظار مع حذف المشبه به، والرمز إليه بلفظ (موشي)علي سبيل الاستعارة المكنية، (وإسناد الحلم إلى الغد) استعارة أخرى وهى ترشيح للأولى بها تشبيه للغد بإنسان يرقد ويحلم على سبيل الاستعارة المكنية، ويتجلى الأثر البلاغي لأسلوب الاستفهام هنا من أنه قد خرج من معناه إلى معنى بلاغي واضح ألا وهو التحسر الذي يكتنفه معنى الاشتياق والحنين إلى تلك الأيام التي اكتست بالحب وتوشحت بأحلام الغد،ويؤكد تلك المعاني البلاغية قوله في البيت الثاني: (من هاته الأيام محرومة...إلخ) فوصف الآمال والمواعيد بالعري والحرمان فيه إشارة إلى ما يعانيه الشاعر من فقدان الأمل في الغد، وفيه تشبيه لتلك الآمال بإنسانة تجردت من ملابسها، ولم يبق عليها شيء ، ليقول الشاعر: إنه يحن حنينًا شديدًا إلى أيام وصاله لمحبوبه.

ويتضح من خلال التحليل لأداة الاستفهام (أين) في تعبير الشاعر تعدد المعاني البلاغية التي خرج إليها الاستفهام بـ(أين) وهي: الحسرة والندم ، والتعجب والتهويل والتعظيم ، وكلها معان فرضتها الحالة النفسية التي مر بها الشاعر ، والتي تبدو ليس من أسلوب الاستفهام فحسب، وإنما – أيضا– من التصويرات المساندة له.

المبحث الخامس : الاستفهام(ماذا) وعلاقته بالانفعالات النفسية

ومن الأدوات التي استعملها ناجي للاستفهام(اسم الاستفهام ماذا) وهو مقسم إلى (ما، وذا) ما الاستفهامية، والاسم الموصول (ذا)[1]، وتخرج تلك الأداة في بعض الأساليب عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى بلاغية تتضح في سياق التحليلات الآتية.

النموذج الأول:

من المعاني التي خرج إليها الاستفهام بـ(ماذا) عن معناها الأصلي معنى التحسر والندم، كما في تلك الأبيات التي يصور فيها لقاءه بامرأته؛ ولأنه كان لقاء خاطفًا سريعًا لم يحقق فيه مبتغاه، لجأ إلى الاستفهام(بماذا) هادفًا منه إلى تصوير تحسره بسبب قصر اللقاء، وانتهاء زمنه سريعًا، فلم يهنأ فيه بشيء يقول ناجي :

[الكامل]

مَاذَا لَقَينَا مِن لِقَاءٍ خَاطِـــــفٍ وَعَشِيّةٍ كَالبَرقِ حَانَ ضُحَاهَا!؟

---

(1) وقد اختلف العلماء في أمر (ماذا) فمنهم من يرى: أنها مركبة من (ما)للاستفهام، و(ذا) اسم إشارة، وآخرون يرون أن(ما)للاستفهام، و(ذا)اسما موصولا، وبعضهم: أن(ذا)زائدة، وهو رأي منسوب للكوفيين، وقيل: إنها اسم واحد ، المعنى منه الاستفهام، وفريق آخر يرى أنها اسم واحد بمعنى الذي. ينظر: الجمل في النحو-للخليل بن أحمد ت١٧٠هـ(١٨١) تحقيق:د/ فخر قباوة-ط٥-١٤١٦هـ، والتعليقة على كتاب سيبويه-للسيرافي ت٣٧٧هـ (١١٨/٢) تحقيق:د/ عوض بن حمد-ط١-١٤١٠هـ، وأسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية-إعداد/ناغش عيدة-رسالة ماجستير(٣٥، ٣٦) الجزائر- ٢٠١٢م.

يَا وَيحَ هَاتِيكَ الثَّوَانِي لَم تَقِـــف حَتَّى نُسِيغَ هَنَاءَةً ذُقنَاهَـــا!

حَتَّى يُمَتَّع بِاليَقِينِ مُكَـــــذِّبٌ عَينَيهِ فِي رُؤيَا يُضِلُّ سَنَاهَـا

تَمضِي لَهَا الأبصَارُ مُشعَلَةَ الهَوَى وَتَحُولُ عَنهَا مَا تُطِيقُ لِقَاهَا![1]

حيث يتضح من خلال تلك الأبيات أن هناك لقاء قد حدث بين ناجي وامرأته، إلا أن هذا اللقاء كان قصيرًا، ويتضح ذلك من قوله:(لقاء خاطف) فلم يستطع الشاعر أن ينال منه ما أراد ، فعبر بأسلوب الاستفهام ؛ليدلل على تحسره من قصر هذا اللقاء، وقد سرد ناجي أبياته معتمدا على أسلوب الاستفهام(ماذا) حيث جعله منطلقا ودافعًا لما سيصف به تلك الثواني بعد ذلك ، ثم بدأ بصورة التشبيه التي جعل فيها من هذا اللقاء الخاطف مشبهًا ، ومن البرق مشبها به، ليعلم السامع أن وجه الشبه وهو السرعة الفائقة هو ما حدث بالفعل لهذا اللقاء، وهو ما جعله في البيت الثاني يتوعد تلك الثواني بقوله:(يا ويح هاتيك الثواني...إلخ) وقد أبدع ناجي حين عد تلك اللحظات بينه وبين محبوبته في صورة شيء يستلذ به؛ وذلك بالتعبير في قوله:(وذقناها) وقد كرر التعبير بـ(حتى) في عبارتين متتاليتين (حتى يسيغ ...حتى يمتع...) ليؤكد معنى التحسر والندم من الاستفهام، ويبدو أن ناجي لا يكف عن أسلوب المبالغة في كل رومانسية يشعرنا بها، وكأنها لازمة من لوازم عواطفه لا يستطيع أن يُحكم لجامها ، وهو ما يظهر هنا في قوله:(تمضى لها...إلخ) فكيف تجمع الأبصار كافة في اتجاه واحد لمحبوبته، وقد أججها الهوى؟ والأدهى أنه أكمل تلك المبالغة بمبالغة أشد، حين جعل من شعلات الهوى لتلك الأبصار حائلا

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (٥٧).

بينه وبين رؤية محبوبته، فكان يمكنه ألا يكلف نفسه عناء هذا الأسلوب، ويبحث ببساطة عن أساليب أيسر، وتراكيب تناسب رومانسيته ، وقوله:(مشعلة الهوى)به تصوير لحرارة الهوى وشدته، وتشبيهه بالنار على سبيل الاستعارة المكنية، وشتان ما بين الرقة والعاطفة التي تخرج من الأبصار ، والأحاسيس والمشاعر التي تتدفق من الأفئدة ، وقد جمع ناجي بين متناقضين لتتم المبالغة عنده أكمل تمام ، ولو لاحظنا تأثير الاستفهام في الأبيات لخرجنا ببلاغته وخروجه عن معناه الأصلي إلى معنى يدلك على تمنيه لطول اللقاء، وقد بدأ ذلك بوصف اللقاء بالخاطف من ناحية، وتشبيهه بالبرق من ناحية أخرى، لاسيما أن هذا الاستفهام بني عليه الشاعر أبياته التالية مؤكدًا المعاني البلاغية التي أرادها.

النموذج الثاني:

ومما جاء عند ناجي في معان الندم والتحسر حينما ينادي قلبه تارة، وحبه تارة أخرى معتمدًا على أسلوب الاستفهام بـ(ماذا) قائلًا:

[الكامل]

يَا قَلبُ! وَيحَ ثَبَاتُنَا مَاذَا جَنَى ... أَتَرَى شُعَاعًا فِي البَقِيَّةِ يُلمَحُ؟

يا أيُّهَا الحُبُّ المُقَدَّسُ هَيكَلًا ... ذَاقَ الرَّدَى مِن عَابِديكَ مُسَبِّحُ

كَثُرَت ضَحَايَاهُ وَطَالَ قِيَامُهُ ... وَصِيَامُهُ فَمَتَى رَضَاءَكَ تُمنَحُ؟[1]

فأي قلب ينادي؟ إنه القلب المستعار له الذي أراده ناجي، ويكفينا النداء شاهدا على وجود الاستعارة، ويكفينا التوعد شاهدا على وجودها–

(1) ديوان إبراهيم ناجي (١٠٨).

أيضا –في قوله:(ويح ثباتنا ماذا جنى)فأي ثبات يقصد؟ إنه الثبات الشبيه بإنسان الذي دلل عليه بالفعل (جنى) على سبيل الاستعارة المكنية، ويبالغ ناجي مبالغة مقبولة حين يعتليه اليأس ، ويفقد الأمل في قوله:(أترى شعاعا...إلخ) فالتعبير يمكن أن يؤخذ على محمل الحقيقة من ناحية ، لكن ناجي لا يقصده ، وإنما الذي يقصده هو الكناية بهذا الأسلوب الاستفهامي عن مدى اليأس والإحباط الذي تحويه نفس الشاعر، وأما الاستفهام المعتمد على الاستعارة في قوله:(ماذا جنى) يقصد به الندم والتحسر، ويلقى باللوم على قلبه الذي ظل في ثبات عميق فترة من الزمن ، وقد سمى الشاعر الحب ووصفه بأن هيكله مقدس، وأنه يريد أن يجعله بناءً كبناء الكنائس والمساجد، لكنه أخطأ في التصوير حين جعل الجامع بين هذا الحب ، وتلك المعابد أن العبّاد المسبحين يذوقون الموت بها في قوله:(ذاق الردى...إلخ) فمن قال بأن كل عابد مسبح ، يجب أن يجد الموت؟ وتلك مبالغة لا أعلم سببها سوى أنه يبني لنفسه معبدًا خاصًا ممنوع على غيره أن يجول بداخله ، فتأمل وهو يقول:(كثرت ضحاياه...) فقد جاء بلفظتي (القيام والصيام)حتى يدلل على كثرة الضحايا من النساك المسبحين لهذا الحب ، وهذا غير صحيح، وكان يمكن اللجوء إلى هذا المعنى بتعبير أقل مبالغة، وأكثر قبولًا، وهو حين يقول:(فمتى رضاءك تمنح) إنما يريد الاستعطاف بأسلوب الاستفهام، ويجعل من الحب إنسانًا يمنح ويمنع ، وهذا أجمل ما في الأبيات ، حيث جمع بين أكثر من استفهام ، وأكثر من نداء في ثلاثة أبيات متتالية، وقد خرج الاستفهام في جميعها عن معناه الحقيقي إلى المعاني البلاغية التي ذكرناها، ولم يتعسف الشاعر في استدعاء الاستفهام ، وإنما جاء بسلاسة واحتياج الأبيات إليه، ليدلل كل استفهام على معناه المستقى، وتلتحم جميعا في أداء معاني

الأبيات، ولو تتبعنا أسلوب الاستفهام بداية من قوله:(ماذا جنى) وما بني عليه من ألفاظ وتعبيرات لاستطعنا أن نتلمس الحالة النفسية لناجي بدءًا من قوله: (ذاق الردى) ومرورًا بقوله:(كثرت ضحاياه) وانتهاءً بالاستفهام بقوله:(فمتى رضاءك..) فالتعبيرات كلها تدل على نفور الشاعر من وضعه الذي يعيش فيه وفقدانه للأمل وتأمل قوله:(أترى شعاعا..) وكأن المستقبل لديه لا مكان له، وهو ما يجعل التلاحم بين أسلوب الاستفهام وما بنى عليه ليس لفظيًا فقط ، بل نفسيًا أيضا.

النموذج الثالث:

لكننا في مواضع أخرى لأداة الاستفهام (ماذا) نقرأ لناجي أبياتا أرق من تلك الأبيات السالفة، وأيسر في اختيار أساليبه، وأبلغ في العناية بتراكيبه، فهو حين يقول: [الرمل]

جِئتُ أشكُو لَكِ رُوحِي وَجَوَاهَا ... وَرَدَت ظَمأى وَعَادَت بِصَدَاهَا

آهٍ مَن عَينِكِ! مَاذَا صَنَعَت ... بِغَرِيبٍ مُستَجِيرٍ بِحِمَاهَا؟!

تبعَتُه تَقتَفِي أحلَامُهُ ... كُلَّمَا أغفَى أطَلَّت فَرَآهَا[1]

تقف معه موقف المشارك لآلامه وانفعالاته، المستمع لأحاسيسه التي صورها أيما تصوير، فكيف يتسنى له أن يشكو لامرأته روحه وما بها من لوعة؟ إلا إذا كان قد احتواه الحب من كل جانب، لكنها جفت في حبها له دون أن يشير إشارة تؤكد ذلك، وإنما اكتفى بتصوير روحه بقوله:(وردت ظمأى...) حيث شبه روحه بصورة امرأة ، وحذف المشبه به ورمز إليه

(1) ديوان إبراهيم ناجي (٩١).

بقوله:(ظمأى) على سبيل الاستعارة المكنية، وقوله:(عادت بصداها) يشير إلى مدى معاناته مع امرأته، وقد أكد ذلك باسم الفعل(آه) الذي أتبعه استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي واضح وهو التعظيم والتهويل اللذين يلفهما معنى التعجب من شدة جمال عيون تلك المرأة ، الذي ادعى ناجي أنه قد اتخذ منها مجيرا يستجير به، ليعود مرة أخرى إلى الاستعارة المكنية في قوله:(مستجير بحماها) فكيف يحتمي ويستجير بتلك العيون ،إلا إذا كانت في صورة القلعة التي يحتمي بها الأعداء ، وإنما أراد بهذا التصوير أن يزين أسلوب الاستفهام حتى يستساغ في أذن المتلقي، ويستأثر بانتباهه ويشاركه أحاسيسه دون ملل ، وتلك هي قيمة الاستفهام البلاغية التي لولاها ما استطاع ناجي أن يفهمنا مدى جمال امرأته الذي عظمه بهذا الاستفهام ، فهو حين يقول:(ماذا صنعت) يقصد أن ما يصل إلينا من الفهم هو شدة هذا الجمال وسحره الذي يتعجب ناجي مما صنعه، حتى إن حبه جعل أصلًا له هو جمال محبوبته في قوله :(تبعته) وقد جعل اقتفاء الأحلام في صورة استعارية رائعة بنى من خلالها تصويره لمدى شوقه لمحبوبته.

النموذج الرابع: ويعود ناجي في أسلوب مشابه إلى حد كبير لفظًا ومعنى لأسلوب الاستفهام التعجبي الذي يفيد التعظيم والتهويل السالف ذكره حين يقول: [الكامل]

مَاذَا صَنَعتِ بِنَاظِرٍ لَا يَنثَنِي ... مُتَطَلِّعًا مُتَلَفِّتًا مُسْتَادَا

وَأَنَا غَرِيبٌ فِي الزِّحَامِ كَأَنَّنِي ... آمَالُ أَجفَانٍ حُرِمنَ رُقَادَا

وَلَقَد تَرَى عَينِي الجُمُوعَ فَمَا تَرَى ... دُنيَا تَمُوجُ وَلَا تَحُسّ عِبَادَا

فَإِذَا رَأيتُكَ كُنتَ أنتَ النَّـــاسَ وَالأ عمَارَ وَالآبَادَ وَالأمَـــادَا

وَأرَاكِ كُلّ الزَّهرِ كُلَّ الرَّوضِ أنـــ ـتِ لَدَيَّ كُلُّ خَمِيلَةٍ تَتَهَادَى[1]

ولأول مرة يطالعنا ناجي بوصف نفسه أمام امرأته مظهرًا وموضحًا أثر جمالها عليه، ومتعجبًا من هذا الجمال الذي أخذ بلبه وعقله، وقد شبه نفسه أولا بالغريب في الزحام ووجه الشبه: الحيرة وكثرة التلفت، وتقليب البصر يمينا وشمالا من شدة إحساسه بالغربة، ثم شبه نفسه في كثرة تطلعه وتلفته بآمال الأجفان حرمن رقادا، فعيناه لا تكفان عن التطلع والتلفت، والنفوس المتعلقة بآمال تتطلع إليها ، وتديم النظر، وتحرم من الرقاد، ليكون وجه الشبه هو كثرة التطلع والتلفت ، وطول النظر ، والاستفهام في قوله:(ماذا صنعت...) يفيد التهويل والتفخيم اللذين يلفهما التعجب ، وقد استعمل شاعرنا أداة التشبيه (كأن) حتى يقنع السامع بأن الشبه بين الغريب في الزحام ، وبين آمال هذه الأجفان التي حرمت الراحة شبها قويا لا شك فيه، ولم يقل الشاعر:(كأنني أجفان) والفرق بينهما: أن المشبه به سيكون حسي، وهو الأجفان، وعلى قوله: يكون عقلي، وهو الآمال،وقول الشاعر(وأنا غريب..) يشعر المتلقي بالحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، فهي حالة الوحدة والعزلة ، ويؤكد ذلك –أيضا– اعتماده على التصوير بصورة الأجفان التي حرمت النوم ، ويتوجه الشاعر بإظهار حالته وموقفه من محبوبته ، حين يصور نفسه بين الجموع لا يرى أحدا سواها(ولقد ترى...) فإذا ظهرت محبوبته ورآها بعينه كانت بمنزلة كل الناس، وكل الخلائق، وكل السنين، (فإذا رأيتك...) وهي مبالغة مقبولة

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (١٦٨).

لعواطف جياشة والقلب ملتهب، وقد أوضح ذلك من خلال أسلوب الشرط في قوله:(فإذا رأيتك) والعطف بين الجملتين(وأراك كل الزهر...، كنت أنت الناس) وإنما يقصد: فإذا رأيتك أراك كل الزهر، وقوله:(كل الزهر) مساويًا لقوله:(كنت أنت الناس) حيث يتضح الإجمال، فلا يتسنى للسامع أن يستثني تلك المرأة لا من جمال ولا من غزل عفيف ، وحذف أداة العطف في قوله:(كل الروض، كل الزهر) بهدف اكتساء محبوبته بكل ما فيه جمال وما يحتويه من رقة ولين ورائحة طيبة ، وهو يقصد بقوله:(خميلة)الشجرة المجتمعة الملتفة، مما يظهر حسن اختيار ناجي لألفاظه، ولو قال:(كل الروض) لكان أوفى؛ لأنه يجمع الزهر والخمائل بداخله، لكنه ذكر كل واحدة منفردة لتنوع الأزهار والخمائل داخل الروض الواحد، فلا يظنن سامع أن الاستطراد هنا لا طائل منه، والتهويل الذي ينبع من الاستفهام، كانت له أسبابه عند الشاعر ذكرها في الأبيات اللاحقة له، مما يظهر الأثر البلاغي لهذا الأسلوب الذي بنى عليه الشاعر وصفه لحبيبته، بدأها بقوله:(ولقد ترى...) ونهاها بقوله:(أنت لدي كل...) فإن سأل سائل لم لجأ ناجي إلى الاستفهام عن أثر جمال امرأته به؟ دل ناجي على الجواب بذكره لصفات محبوبته في تلك الأبيات ، فعذر الشاعر ولم يعاتبه؛ لأنه رأى وصفًا كافيًا يبرر استعمال الاستفهام وما يدل عليه.

المبحث السادس :الاستفهام بـ (من) وعلاقته بالانفعالات النفسية .

ومن الاستفهامية تستعمل للسؤال عن العاقل، وتأتي على أربعة أوجه: شرطية، واستفهامية، ونكرة موصوفة، واسمًا موصولًا، و(من) تكون للاستفهام عن العاقل، وتعينه باسم أو صفة[1]، وتخرج في بعض الأساليب عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى بلاغية، وكانت مما استعان به ناجي في أساليبه وتراكيبه الرومانسية، وقد خرج الاستفهام بـ(من) عند ناجي إلى معنى التهويل والتعظيم في نماذج شعرية منها:

النموذج الأول :

أراد ناجي أن يعبر عن رقة محبوبته وحسنها، وأنها تبلغ من ذلك درجة لا تبلغها غيرها، فيلجأ إلى الاستفهام بـ(من) قاصدًا به معنى التهويل والتعظيم والتفخيم في تصوير جمال تلك الحسناء، وما تتمتع به من رقة ودلال وخفة، وكأنها عصفور يطير من غصن إلى غصن ، يقول ناجي: [الكامل]

مَن هَذِهِ الحَسنَاءُ يَا عَينِـــي؟ السِّحرُ كَلَّلَهَا وَظَلَّلَهَـا

كَالطَّيرِ مِن غُصنٍ إِلَى غُصنِ وَثَّابَة، وَثَبَ الفُؤَادُ لَهَا![2]

([1]) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب–لابن هشام تـ٧٦١(٤٣١، وما بعدها) تحقيق:د/ مازن المبارك، ومحمد علي–دار الفكر– دمشق–ط٦– ١٩٨٥م، وأسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة بلاغية نحوية دلالية– لناغش عيدة(٣٥) رسالة ماجستير– الجزائر–٢٠١٢م.

([2]) ديوان إبراهيم ناجي (٢٦)، وفي نسخة(من هاته).

حيث ظهرت (من) جليًا للدلالة على أن هذه الحسناء المشار إليها باسم الإشارة (هذه)بلغت ما لم تبلغه امرأة غيرها في الرقة والحسن، وهو ما اتضح من الجملة الاسمية في قوله:(السحر كللها وظللها) فلم يجد ناجي أنسبَ من لفظة(السحر) ليدلل على بلوغ محبوبته مبلغًا سامقًا في الجمال، كما أن النداء مع الاستفهام في قوله:(من هذه الحسناء..) يثير تساؤلًا في ذهن المتلقي حول السر البلاغي الذي يجمع فيه الشاعر بين النداء والاستفهام في جملة واحدة ، ونستطيع هنا أن نقول: إن المعاني النفسية التي تنتاب الشاعر لمجرد رؤيته لمحبوبته، والتي بلغت من الجمال مبلغًا عظيمًا، هي التي أوصلت الشاعر إلى هذا الجمع بين النداء والاستفهام ، وكأننا نستشعر اندهاش الشاعر لجمال امرأته مما يجعلنا نعتقد أن رؤيته لها وتلمس جمالها كانت هي المرة الأولى بالنسبة له ، واستخدام العطف بين الفعلين (كللها وظللها) زيادة في التنويع لأثر الحسن عند تلك المرأة ، ولو اكتفى بلفظة واحدة منهما لكان تقصيرًا في المعنى، فالتكليل هو التتويج، وهو يعطي معنى الفخامة والهيبة ، وأما التظليل ، فهو يعطي معنى الحماية والرقة، وكلا المعنيين مقصود عند ناجي، وأعظم ما في البيتين أنه جعل من أحدهما مشبها والآخر مشبها به، حين يقول: (كالطير من غصن... إلخ) وكأن امرأته في سحرها الأخاذ الذي كان منها تتويجًا وتظليلًا تشبه الطير المتنقلة من غصن لآخر ؛ ليكون وجه الشبه هو جمال الجسم مع الحركة، ويأتي جمال الأثر البلاغي في الاستفهام بـ(من) في أكثر من ناحية منها :أنه أدى الأسلوب الاستفهامي مع النداء، وجعل النداء جزءًا منه في جملة(يا عيني) وجملة النداء في ذاتها تصوير من الشاعر لتشخيص عينيه في صورة الإنسان المنادى الذي يسمع ويستجيب على سبيل الاستعارة المكنية ، والناحية الأخرى : إطلاق لفظة

الحسناء على امرأته بأسلوب استفهامي يظهر من خلاله تكامل معاني الحسن والجمال جميعها لامرأته مما أكسب الاستفهام قوة عند السامع، فضلًا عن أن التهويل والتفخيم بالاستفهام جعل المتلقي متشوقًا لوصف هذه الحسناء، ولا نبتعد عن الصواب إن قلنا: إن الاستفهام فيه تعجب واضح من الشاعر لهذا الحسن الذي صوره بنفسه في صورة السحر الذي لا يقاوم، وبين معاني التعجب والتهويل والتفخيم مناسبة لا شك فيها.

النموذج الثاني:

وفي استخدام (من) في معنى التهويل والتفخيم وإفادة معنى التعجب في قالب من التصوير يقول ناجي: [الكامل]

مَن أنتِ يَا مَن رُوحُهَا اقتَرَبَت ... مِنِّي وَخَاطَبَ دَمعُهَا رُوحِي؟

صَبَّتهُ فِي كَأسِي! وَمَا سَكَبَت ... فِيهِ سِوَى أنَّاتِ مَذبُـــوحِ(1)

وكأنها سمت من سمات الاستفهام عند ناجي حين يجعل نداءه مرافقا لأسلوبه في قوله:(من أنت) إلا أن المنادى هنا(يا من) هو اسم موصول يقصد به ناجي امرأته، فكان خاليًا من التصوير بخلاف ما سبقه حين خاطب أو نادى عينيه، فكانت في التصوير أقوى ، غير أنه هنا جعل التصوير الرائع في جعل روحه جسدًا مشخصًا يدنو ويبتعد منه على سبيل الاستعارة المكنية في قوله:(روحها اقتربت مني)، والنداء مع الاستفهام مع تجاهل المنادى والتعبير عنه بالاسم الموصول (من) يشير إلى الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر نحو محبوبته في تشوق وحنين أثبته بقوله:(اقتربت مني)وكأن تلك الروح التي يحبها الشاعر ويحن إليها هي

(1) ديوان إبراهيم ناجي (٢٨).

الأصل فبدلًا من أن يقول: بالاسم ياليلى أو يافاطمة وما شابه قال : من روحها اقتربت، فالحالة التي تكتنف الشاعر فيها هدأة وسكون، ويعتريها رضا وقبول بما سيصيبه من تلك المرأة ، وأروع منه وأبلغ حين جعل من دمعها رجلًا يخاطب ويتحدث ويُسمع إليه في قوله:(خاطب دمعها روحي) والبلاغة هنا تتأتى من جانبين الأول :تصوير الدمع في صورة إنسان يتحدث ويخاطب، والآخر : تصوير روح الشاعر في صورة إنسان يستمع ويتلقى، والتصويران بهما استعارة مكنية، ولازم المشبه به المحذوف في الاثنين هو الفعل (خاطب)، وقوله:(صبته في كأس) كناية عما يعانيه الشاعر في البعد ، وهو يقصد هنا أن امرأته قد صبت دمعها في كأسه ، وكأنه يشاركها أحزانها، ويناسب ذلك قوله في نهاية البيتين:(وما سكبت...إلخ)، والاستثناء هنا يؤكد أنه لم يبق إلا الآلام والأوجاع عند ناجي، وإنما كنى بقوله:(مذبوح)عن مدى ألمه ومعاناته ، والجملة استعارية خالصة صور فيها ناجي الأنّات وجعلها في صورة السائل الذي يسكب من أعلى إلى أسفل، واللازم هو الفعل(سكبت)على سبيل الاستعارة المكنية، ويتجلى الأثر البلاغي هنا في جعل الاستفهام من البداية مبهمًا حين قال:(من أنت) ليهيئ السامع ويشوقه إلى معرفة امرأته، وكأنه يريد من المتلقي أن يشاركه عواطفه وانفعالاته، فقال ناجي :إن هذه المرأة هي التي اقتربت روحها مني، وخاطب دمعها روحي، وكأن أسلوب الاستفهام قد قسم إلى قسمين الأول :يندرج تحت جملة(من أنت) وهو الاستفهام الأصيل، والآخر :الذي لا يستغنى عنه هي جملة النداء(يا من روحها) لاسيما أن النداء أكسب الاستفهام جمالًا وبهاءً؛ إذ يندرج الاثنان (الاستفهام والنداء)تحت أسلوب الإنشاء.

النموذج الثالث:

ويتجلى معنى التعظيم والتفخيم في استعمال (من) حين يصف عيون محبوبته بالخشوع والينبوع الصافي بقوله: [الكامل]

لِمَنِ العُيون الغَائِرَاتِ خُشُوعَـا ... لِمَنِ النَّواظِرِ قَد صَفَت يَنبُوعَا

وَتَكَلَّلَت بِالطُّهرِ مُوْتَلِقَ السَّنَـا ... وَجلَت لَنَا مَعنَى الجَمَالِ رَفِيعَا

مَهلًا فَتَاةَ الدِّيرِ وَالحُسن الَّـذِي ... تَصبُو لَهُ مُهَج العِبَادِ جَمِيعَـا

الحُسنُ مِن حَقِّ الوَرَى وَحَملتِـه ... مستخفيًا متأبيًا مَمنُـوعَـا!

فِي الدِّيرِ مَثوَاهُ وَفِي جُنَحِ الدُّجَى ... يَتَحَدّرُ الحُسنُ الشَّهِيد دُمُوعَا[1]

فالشاعر على علم بأوصاف امرأته لا يحتاج إلى من يجيبه عن وصف منها، فهو قد لجأ إلى الاستفهام؛ ليشعر السامع بمدى جمال هذه العيون وصفائها، وقد خلع على نواظر محبوبته تاج الطهر بقوله:(تكللت بالطهر) ليزيد المعنى نقاء ورقة ، وقد صرح بمقصوده من الاستفهام في البيت الثالث باسم الفاعل(مهلا) في قوله: (مهلا فتاة الدير) ليلجأ إلى المبالغة مرة أخرى حين يجعل مهج العباد وقلوبهم لا تصبو إلا إلى جمال فتاة الدير، فأي فتاة هي؟ حتى يصف ناجي ويؤكد توجه مهج العباد بقوله:(جميعا) أي: أنه لم يدع مهجة واحدة إلا وقد توجهت إلى تلك الراهبة الباكية، وتزداد تلك المبالغة غلوًا حين يقتصر الحسن على تلك الراهبة دون غيرها من الورى في البيت الرابع، ثم يصف هذا الحسن بأنه(مستخفيًا متأبيًا ممنوعًا) ويكرر المبالغة في البيت الأخير حين يقصر

([1]) ديوان إبراهيم ناجي (١٧٢).

مكان الحسن لتلك الراهبة في الدير دون غيره، ولما أراد ناجي أن يخرج بلطف من تلك المبالغة ، جعل جزءًا من هذا الحسن يتحدر في جنح الظلام ؛ ليجعل منه شهيدًا داخل الدير، لكنه لم يحسن التعبير؛ لأن تقديم الجار والمجرور في قوله:(في الدير مثواه) يعني حصر هذا الحسن على الدير دون غيره من الأمكنة، وكان يمكن لناجي أن يظل على حسن التعبير ورقة الأسلوب ، كما بدأ بالبيتين الأوليين ، لكن المبالغة التي وصلت إلى درجة الغلو في ثلاثة أبيات متتالية عصفت برقة المعاني وسهولة الأسلوب ، وما يهمنا هنا هو العنصر الأساسي وهو الاستفهام بـ(من) وأثره في جلاء المعنى، ويتضح هذا الأثر من الاعتماد على رقة الألفاظ المختارة في وصف العيون بأنها خاشعة ، ووصف النواظر بأنها صافية، وعطف جملتين متتاليتين في البيت الثاني هما(وتكللت بالطهر...وجلت لنا...) وهو ما جعل هناك ترابطًا بين الأبيات والاستفهام الذي آثر الشاعر أن يبدأ به، ليلفت نظر المتلقي والسامع، ويبدو هنا أن الاستفهام فرضته حالة نفسية يمر بها ناجي فيها من الاندهاش والتعجب، وفيها نوع من المباغتة التي تظهر جليًا في وصف العيون بالغائرات، ووصف النواظر بصفاء الينبوع، ورب سائل يسأل ألم تكن العيون هي النواظر نفسها ، فلم التكرار إذن ؟ وهذا إبداع من الشاعر ؛لأنه جمع بين الحسي الملموس، وبين الجمال المشاهد ،فالعيون هي السبب في النواظر ،والنواظر مسببة عنها ،والسر في ذلك رغبة الشاعر في استبعاد كل قبيح يخرج من تلك العيون الجميلة ،فكم من العيون بلغت من الحسن مبلغًا ،لكن نظراتها يكسوها الشر والخداع ، فيذهب جمالها.

الخاتمة

فيما مضى من صفحات البحث تناولت أسلوبًا بلاغيًا هامًا، له دوره البارز، وأثره القوي في الكشف عن معاني الشاعر، وإيضاحها للمتلقين، وفي التعبير عن مكنونات نفسه، وتصوير مشاعره وانفعالاته في جلاء ووضوح، واستقطاب المتلقي للإنصات ببالغ الأهمية إلى إبراهيم ناجي في شعره الرومانسي، وقد أسهم الأسلوب الاستفهامي بأدواته المتعددة في حيوية شعره الرومانسي وقوة تأثيره في المتلقين، من خلال أغراضه ومعانيه التي خرج إليها ذلك الأسلوب بعيدًا عن معناه الحقيقي.

ومن خلال تناول ذلك فيما مضى من صفحات البحث تبين ما يلي:

١- تتراءى وراء الأساليب الاستفهامية في رومانسيات ناجي معان نفسية تتواءم مع الجو العام للأبيات الشعرية.

٢- خروج الشاعر بالاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى متعددة، منها: (التعجب، والتحسر، والندم، والإقرار، والتأكيد، والإنكار)، وغيرها، ويأتي في مقدمتها التعجب، حيث كثر الخروج إليه كثيرًا في رومانسيات الشاعر,

٣- من خلال الاستفهام وأدواته، والمعاني التي خرج إليها، استطاع الشاعر أن يكشف عن معانيه بوضوح ويترجم مشاعره وأحاسيسه ترجمة صادقة، ويصور انفعالاته النفسية المختلفة تصويرًا دقيقًا حيويًا.

٤- استطاع الشاعر – بأسلوب الاستفهام ومعانيه التي خرج إليها- أن يبث معانيه وأفكاره ومشاعره وانفعالاته في عقل السامع ووجدانه، من خلال مقتضى الحال داخل الأبيات المحيطة بأسلوب الاستفهام.

٥- أحيانًا يجمع الشاعر بين أداتين من أدوات الاستفهام، إثارة لمشاعر المتلقي، وجذبًا لانتباهه؛ لما للاستفهام من دور بارز في إثارة انفعال المتلقي، وانتباهه وتطلعه لما يثيره الاستفهام من معان، وما يهدف إليه من غايات.

٦- تبين -من خلال البحث- أن إبراهيم ناجي شاعر كبير، يحسن استخدام الأساليب المناسبة لتجاربه وانفعالاته، ويجيد السيطرة على المتلقي بأدواته الشعرية، وفي مقدمتها أسلوب الاستفهام بأدواته المختلفة، ومعانيه المتعددة التي خرج إليها بعيدًا عن معناه الحقيقي.

أرجو- في نهاية البحث- أن يكون هذا البحث قد أماط اللثام عن موضوعه، وحقق غايته المنشودة، في إيضاح الأسلوب الاستفهامي بأدواته ومعانيه في رومانسيات ناجي، وبيان أهميته في ترجمة مشاعر الشاعر، وتصوير انفعالاته، وإيصال معانيه وأفكاره إلى المتلقي في جلاء ووضوح.

فهارس البحث

١- فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآية
سورة: البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾	٢٨
سورة النساء ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴿٣﴾ ﴾	٣
سورة : يوسف ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾	٩
سورة طه ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩
سورة الأنبياء ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾	٧٧
سورة النور ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩
سورة النمل ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾	٣٥
سورة الصف ﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾	٥
سورة النبأ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾	١

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

نص الحديث
إذا حَطَطْتُمُ الرِّحالَ فشُدُّوا السُّروجَ"

٣- فهرس الأشعار

مطلع البيت	قافيته	البحر	قائله	عددها
الهمزة				
هذه الكعبة	ومساء	إبراهيم ناجي	الرمل	٢
عندي سماء	جرداء	"	البسيط	٥
أنت كريم	المساء	"	السريع	٢
لم خليتني	ارتقاء	"	الخفيف	٦
فحططنا	الحوجاء	البوصيري	الخفيف	٢
أين من	وحياء	إبراهيم ناجي	الرمل	٤
أيها الغائب	هنائي	"	الخفيف	٦
الباء				
حل يا ساحر	الغريب	إبراهيم ناجي	الرمل	١
من أنت	الألباب	"	الكامل	٤
التاء				
برئت نفسي	العبرات	إبراهيم ناجي	الرمل	٤
الحاء				
ياقلب	يلمح	إبراهيم ناجي	الكامل	٣
من أنت	روحي	"	الكامل	٢
الدال				
تالله أني	تشيدا	نقولا التركي	الكامل	٣
ها أنا	السعادة	إبراهيم ناجي	الرمل	٥

ما الذي	الفؤاد	"	"	٤
دار أحلامي	الجديد	"	"	٤
يامية الحسناء	ميعاد	"	الكامل	٥
أين زمان	الغد	"	السريع	٢
ماذا صنعت	مرتادا	"	الكامل	٥
الراء				
جفاني	الصبر	أبو نواس	الوافر	٣
إذا الليل	الكبر	أبو فراس	الطويل	٢
إذا هو	البدر	ابن زيدون	الطويل	٢
لمن هاته	الساحرة	إبراهيم ناجي	المتقارب	٥
التقت	سفر	"	الرمل	٤
أيا قلب	حضر	زهير	المتقارب	٤
ياصاحبي	بالذكر	عمر بن ربيعة	البسيط	٣
الزاي				
أين سلطاني	وعزه	إبراهيم ناجي	الرمل	٢
السين				
وطني	نفسي	أحمد شوقي	الخفيف	١
العين				
هل منك	توقعه	إبراهيم ناجي	البسيط	٥
لمن العيون	ينبوعا	"	الكامل	٥
القاف				
وياصخرة	ما مزقا	إبراهيم ناجي	المتقارب	٢
هل كان	الطارق	"	الكامل	٤
الكاف				
وحبب	هنالكا	ابن الرومي	الطويل	٢
الميم				

لم ياهاجر	فيما	"	"	٤
يازائرا	يقم	"	مجزوء الكامل	٦
أين ناديك	وندامى	"	الرمل	٢
اللام				
وكيف ترجي	تؤمل	جميل بثينة	الطويل	٤
أقول	حالي	أبو فراس	"	٢
النون				
راجعتنا	الحزين	إبراهيم ناجي	الرمل	٤
وأنا حب	دنا	"	الرمل	٣
بين سهد	وأنا	"	"	٦
إن نور	مرتان	"	السريع	٢
إيه سونيا	الحسان	"	الخفيف	٥
هل رأى	حولنا	"	الرمل	٤
هل أنت	الحزين	"	مجزوء الكامل	٧
أين مني	وسنى	"	الرمل	٢
الهاء				
كيف السبيل	صداها	إبراهيم ناجي	الكامل	٣
لم ترو	وشفاها	"	"	٦
ماذا لقينا	ضحاها	"	الكامل	٤
جئت	بصداها	"	الرمل	٣
من هذه	وظللها	"	الكامل	٢
الواو				
يافؤادي	فهوى	إبراهيم ناجي	الرمل	٤

٤- ثبت المصادر والمراجع

- أثر الانفعالات النفسية في الحياة الزوجية وأحكامها-إعداد: محمد أحمد القريناوي- إشراف: شحادة السويركي-رسالة ماجستير-١٤٣٣هـ.

- أجمل ما كتب شاعر الأطلال-إبراهيم ناجي- اختيار وتقديم: د/سمير سرحان، ود/ محمد عناني- مهرجان القراءة للجميع-الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- أسس علم النفس العام-د/ أنور الشرقاوي، ود/ طلعت منصور- مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة- ١٩٨١م.

- أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية-إعداد/ناغش عيدة- رسالة ماجستير- الجزائر- ٢٠١٢م.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم -لابن خالويه تـ ٣٧٠هـ- دار الكتب المصرية -١٣٦٠هـ.

- الأعلام- للزركلي- دار العلم للملايين -ط١٥-٢٠٠٢م،

- الأعمال الشعرية الكاملة-لإبراهيم ناج- تحقيق ودراسة: حسن توفيق -المجلس الأعلى للثقافة-المكتبة العربية-١٩٩٦م.

- الإيضاح في علوم البلاغة-للقزويني تـ٧٣٩هـ- تحقيق:/محمد خفاجي- دار الجيل -بيروت- ط٣.

- البيان والتبيين- الجاحظ- تحقيق: عبدالسلام هارون- ط٥- مكتبة الخانجي-من دون تاريخ.

- تاج العروس-للزبيدي ت١٢٠٧-تحقيق: مجموعة من المحققين-دار الهداية.

- تربية المراهق في الإسلام وعلم النفس-لدكتور: محمد السيد الزعبلاوي-كلية المعلمين بالرياض-رسالة دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية.

- التعليقة على كتاب سيبويه-للسيرافي ت٣٧٧هـ- تحقيق: د/ عوض بن حمد-ط١-١٤١٠هـ.

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد-لمحمد بن يوسف الحلبي ت ٧٧٨هـ-دراسة وتحقيق: د/علي فاخر وآخرون-دار السلام-ط١-١٤٢٧هـ.

- الجمل في النحو-للخليل بن أحمد ت١٧٠هـ- تحقيق:د/ فخر قباوة-ط٥-١٤١٦هـ.

- خزانة الأدب-لابن البغدادي ت١٠٩٣هـ- تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون-مكتبة الخانجي-ط٤- ١٤١٨هـ.

- دراسات سيكولوجية -د/ عبدالرحمن عيسوي- دار المعارف- القاهرة-١٩٨١م.

- دلائل الإعجاز- لعبدالقاهر الجرجاني ت٤٧١هـ - تحقيق: محمود شاكر-مطبعة المدني-ط٣- ١٤١٣هـ.

- ديوان إبراهيم ناجي - دار العودة-بيروت-١٩٨٠م.

- ديوان ابن الرومي-شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج-دار الكتب العلمية-ط٣-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- ديوان ابن زيدون–دراسة وتهذيب: عبدالله سنده– دار المعرفة–بيروت–ط١–١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

- ديوان أبي فراس الحمداني– تحليل وشرح/نخلة قلفاط – مكتبة الشرق–بيروت–١٩١٠م.

- ديوان أبي نواس– طبع على نفقة/إسكندر آصاف– شرح / محمود أفندي–المطبعة العمومية بمصر– ط١– ١٨٩٨م.

- ديوان البهاء زهير(– تحقيق:محمد أبو الفضل، وطاهر الجبلاوي–ط٢–دار المعارف.

- ديوان جميل بثينة– دار بيروت للطباعة والنشر –١٤٠٢هـ.

- ديوان عبدالله بن المعتز – فسر ألفاظ غريبه: محي الدين الخياط–مطبعة الإقبال–بيروت.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة– دار القلم– بيروت– لبنان.

- ديوان نقولا بن يوسف بن ناصيف أغا الترك – ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه: فؤاد البستاني مطبوعات مديرية الآثار – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٩.

- شرح المفصل – لابن يعيش تـ٦٤٣هـ– قدم له: د/ إميل بديع يعقوب–دار الكتب العلمية– بيروت– ط١–١٤٢٢هـ.

- الشوقيات–لأحمد شوقي– مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر.

- الصحاح–للجوهري تـ٣٩٣هـ– تحقيق :د/ أحمد عبدالغفور–دار العلم للملايين–بيروت–ط٤–١٤٠٧هـ.

- الصور البيانية في شعر خليل مردم دراسة بلاغية-د/ أيمن محمد-رسالة ماجستير – لغة عربية المنصورة-٢٠١١م.

- عروس الأفراح – للسبكي تـ ٧٧٣هـ- تحقيق: د/ عبدالحميد هنداوي- المكتبة العصرية-بيروت-ط١- ١٤٢٣هـ.

- علم النفس العام-د/صالح الداهري، ود/ وهيب الكبيسي- ط١-دار الكنيدي-١٩٩٩م.

- فنون التصوير البياني د/ توفيق الفيل- ط٢- مكتبة الآداب-القاهرة-١٩٩١م.

- المحكم والمحيط الأعظم-لابن سيده تـ٤٨٥هـ- تحقيق:د/ عبدالحميد هنداوي-دار الكتب العلمية- بيروت-ط- ١٤٢١هـ.

- مختار الصحاح -لزين الدين الرازي تـ٦٦٦هـ- تحقيق: يوسف الشيخ- المكتبة العصرية-بيروت-ط٥- ١٤٢٠هـ.

- المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي- د/ أسماء عبدالعزيز الحسين- عالم الكتب السعودية-ط١-٢٠٠٢م.

- مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث-أ.د/ عبدالغني بركة -دار الطباعة المحمدية- ط١-١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- معاني النحو-د/فاضل السامرائي- دار الفكر-ط١-١٤٢٠هـ.

- معجم المؤلفين-لعمر رضا كحالة- مكتبة المثنى- بيروت- دار إحياء التراث العربي.

- مفتاح العلوم -للسكاكي تـ٦٢٦هـ- ضبطه وعلق عليه/نعيم زرزور-

دار الكتب العلمية–بيروت– ١٤٠٧هـ.

- المعجم الوسيط – لإبراهيم الزيات وآخرون– مجمع اللغة العربية–دار الدعوة– لاط– من دون.

- مؤسسة هنداوي – شعر إبراهيم ناجي.

. https://www.hindawi.org/books//

- النهاية في غريب الحديث والأثر– لمجد الدين بن الأثير تـ٦٠٦هـ– تحقيق: طاهر أحمد ، ومحمود الطناحي–المكتبة العلمية–بيروت– ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

- وحي القلم –لمصطفى صادق الرافعي– دار الكتب العلمية –ط١– ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

٥- محتويات البحث

المسلسل	الموضوعات
١	ملخص البحث
١	المقدمة
٢	التمهيد
٣	أولا: (ناجي الحياة والسيرة): (اسمه ونسبه،مولده ونشأته،أعماله،ثقافته، رومانسيته، مؤلفاته، وفاته).
٤	ثانيًا: الانفعال(المفهوم– الأقسام): أولًا: (تعريفه، أقسامه، الفرق بينه وبين العاطفة). ثانيًا:(أقسامه الانفعال).
٥	ثالثًا: (الاستفهام): (مفهومه، موقعه من باب الإنشاء،أهميته في الكلام، أدوات الاستفهام هي، الغرض الأساسي من الاستفهام، المعاني البلاغية التي يخرج إليها.
٦	المبحث الأول: الاستفهام بـ (كيف) وعلاقته بالانفعالات النفسية .
٧	المبحث الثاني : الاستفهام بـ (ما) وعلاقته بالانفعالات النفسية.
٨	المبحث الثالث : الاستفهام بـ (هل) وعلاقته بالانفعالات النفسية.
٩	المبحث الرابع: الاستفهام بـ(أين) وعلاقته بالانفعالات النفسية.
١٠	المبحث الخامس : الاستفهام بـ (ماذا) وعلاقته بالانفعالات النفسية.
١١	المبحث السادس: الاستفهام بـ (من) وعلاقته بالانفعالات النفسية.
١٢	الخاتمة
١٣	فهرس الآيات القرآنية
١٤	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
١٥	فهرس الأشعار
١٦	ثبت المصادر والمراجع
١٧	محتويات البحث